

هكذا تكلم تبريزي

أحاديث الشيخ والمريد

(٢)

- ◆ المؤلف: شمس الدين التبيري
- ◆ العنوان: هكذا تكلم تبيري... أحاديث الشيخ والمريد (٢)
- ◆ الترجمة: نقلتها عن الفارسية: د. منال اليمني عبد العزيز
- ◆ الطبعة الأولى: 2022
- ◆ تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي
- ◆ مستشار النشر: سوسن بشير
- ◆ المدير العام: مصطفى الشيخ



رقم الإيداع:

٢٠٢١ / ٢٩٢٦٧

الترقيم الدولي: ISBN

978 - 977 - 765 - 330 - 5

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أى جزء منه، أو تخزينه فى نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأى شكل من الأشكال دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb

CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787

E-mail: afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة - من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب - القاهرة - جمهورية مصر العربية

ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ - ٠٠٢٠٢ - ٢٥٧٧٩٨٠٣ - ٠٠٢٠٢ - موبايل: ٠١١١٦٠٢٧٨٧

هكذا تكلم تبريزي

أحاديث الشيخ والمريد

(٢)

نقلتها عن الفارسية وعلقت عليها وقدمت لها

د. منال اليمني عبد العزيز

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

التبريزي، شمس الدين

هكذا تكلم تبريزي - أحاديث الشيخ والمريد (٢)
نقلتها عن الفارسية وعلقت عليها وقدمت لها:

د. منال اليمني عبد العزيز

ط 1 القاهرة - آفاق للنشر والتوزيع - 2022

184 ص، 21 سم.

رقم الإيداع 29267 / 2021

الترقيم الدولي 978 - 977 - 765 - 330 - 5

1 - التصوف

أ - العنوان

صاحب السُّكْر وصاحب الصَّحْو^(١)

قال مولانا جلال الدين: نرغب في ترديد الذكر^(٢). فقال شمس الدين: ينبغي ألا يشغلك عن المذكور شيء آخر. وذلك هو ذكر القلب، وعندئذ يقل ذكر اللسان. أراد أبو يزيد^(٣) أن يجلب ذكر القلب إلى

(١) صاحب السُّكْر وصاحب الصَّحْو: صاحب السُّكْر هو من «يغيب عن تمييز الأشياء ولا يغيب عن الأشياء». وهو ألا يميز بين مرافقه وملاذه، وبين أضدادها في مرافقة الحق، فإن غايات وجود الحق تسقطه عن التمييز بين ما يؤلمه ويلذه. والصاحي الذي نَعْتُهُ قبل نعت السُّكْر، ربما يختار الآلام على الملاذ لرؤية ثواب أو مطالعة عوض، وهو متألم في الآلام، ومتلذذ في الملاذ، فهو نعت الصَّحْو والسُّكْر».

د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، مراجعة د. جورج متري عبد المسيح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، ص ٩٩، ١٠٠.

(٢) الذكر: الذكر هو الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف أو لكثرة الحب. وحقيقة الذكر أن تنسى ما سوى المذكور في الذكر. ويعد الذكر أفضل الأعمال، فقد سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: أن تموت ولسانك رطب بذكر الله تعالى. والذكر ثلاثة أصناف؛ الأول: ذكر القلب، وهو أن يكون المذكور غير منسي فيذكر، والثاني ذكر أوصاف المذكور، والثالث شهود المذكور يُغني عن الذكر، لأن أوصاف المذكور تغني عن أوصافك، فتُغني عن الذكر. انظر: السابق، ص ٨٥، ٨٦.

(٣) أبو يزيد: هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي، كان جده مجوسياً -يُدعى سروشان- وأسلم. وكانوا ثلاثة إخوة: آدم وطيفور وعلي، وكانوا جميعاً زهاداً وعُباداً. وتوفي أبو يزيد في سنة ٢٦١هـ.

فريد الدين العطار النيسابوري، تذكرة الأولياء، ترجمة وتقديم وتعليق د. منال اليميني عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦م، المجلد الأول، ص ٦٤١.

اللسان، فلما ثمل، قال: **سبحاني**^(٤). لا يمكن اتباع المصطفى بالسُّكْرِ، ولا يمكن لصاحب سُكْر اتباع صاحب صحو. سبحاني جبر، وقد استغرق الجميع في الجبر^(٥).

حبات العنب

حكاية ذلك المعلم الذي كان يُعَلِّم تلاوة القرآن بسبع قراءات، وكان يعدّ بدينار على كل آية. فالقراءات مختلفة، ولو أن المعاني واحدة.

(٤) **سبحاني**: يعد أبو يزيد البسطامي م ٢٦١هـ أول من ربط بين التوحيد والفناء، وجعل فناء العبد عن نفسه، وعن صفاته الذميمة وأفعاله الخسيسة، وعن الخلق، وعن ما سوى الله، ثم بقاءه بالحق هما سبيله إلى التوحيد. وحين يستهلك العبد في الفناء، يرى الحق مرآته، ويشاهد نفسه الحق في تلك المرآة، فيتحدث بلسان الحق، أو يتحدث الحق على لسانه، وهو فان. وقد قال أبو يزيد: كان الحق تعالى مرآتي طيلة ثلاثين سنة، والآن أنا مرآة نفسي، وما دمت فانيًا، فالحق مرآتي، فهو يتحدث على لساني وأنا فان. ولذلك فقد تحدث بلسان الحق، أو تحدث الحق على لسانه. وقال: سبحاني ما أعظم شاني.

انظر: د. منال اليميني عبد العزيز، التوحيد عند أحمد الحامي ومحبي الدين بن عربي، حوليات آداب عين شمس، دورية، علمية، محكمة، العدد الأول يناير - مارس ٢٠١٨م، المجلد ٤٦، ص ٨.

(٥) **الجبر**: الجبر هو الجبروت. والجبروت عند أبي طالب المكي عالم العظمة، يريد به عالم الأسماء والصفات الإلهية.

وقال بعض الكبار: العبد له اختيار ما دام في هذا العالم، فإذا دخل في عالم الملكوت صار مجبورًا على أن يختار ما يختار الحق وأن يريد ما يريد، لا يمكنه مخالفته أصلًا.

انظر: محمد علي التهانوي: موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة د. رفيق العجم، تحقيق د. علي دروج، نقل النص الفارسي إلى العربية د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية د. جورج زينات، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، الجزء الأول أ - ش، ص ٥٤٩.

د. أنور فؤاد أبي خزam: معجم المصطلحات الصوفية، ص ٦٧.

أذكرُ أن مولانا كان يقول منذ ستة عشر عامًا: إن الخلائق مثل حبات العنب، كثيرة العدد من حيث الشكل، ولما تعصرها في وعاء، هل تبقى أي حبة؟ كل من يدرك هذا الكلام، يستقيم أمره.

جمال القلب

لا يقهر النفس الأمانة شيء أبدًا إلا أن ترى جمال القلب، فترق في الحال.

مثل ملك قاهر تسلط على رجل، فيدس الرجل له قليلًا من السم في طعام. من ثم يصيب الوهن يدي الملك وقدميه، وينعدم قهره.

الدُّرُّ اليتيم

لا يضمن الملك بالذهب أو الملك أو المال أبدًا، لكنه يضمن بشيئين؛ أولهما: أن يحل محرمًا لشخص، والآخر: أن يترك مجالًا لخازن أن يرى جوهر الدُّرِّ اليتيم. ولما يمس خاصة الخاصة أذى، يشعر بالغيرة، لكنه لا يمس حرمه بأذى مطلقًا.

نور محمد ﷺ

لو استطع نور محمد ﷺ، تحترق أنت، وذلك الشخص الذي تعتقد فيه أيضًا. ينشر الجواهر نوره في الأعلى وفي الأسفل على حد سواء. من تكون أنت؟ هل أنت شقي؟ إذا وقع أمر لشخص، وانجذب إليه، ولم ينكره، فإنه تذكّار حسن، وسوف يبقى هذا التذكّار. كيف يُفْضَل شخص المصطفى ﷺ، ويفلق ذلك القمر؟

إنني لا أعظم القرآن لأنه كلام الله تعالى فحسب، بل لأنه ورد على لسان المصطفى ﷺ أيضًا.

الفلاح والذهب

استجمع الثور قوته، ليقْتلع مقبض الوعاء المخفي، وأخرجه. كان الوعاء ثقیلاً مملوءاً للغاية. أصيب الفلاح بالهوس، وتعجب قائلاً: إنه مملوء بالقصدير أو الرصاص، ولم يقل قط: إنه مملوء بالذهب. لأنه فلاح، وينصرف تفكيره إلى الأدنى.

أسرار القرآن

إننا نقبل هذا القرآن ببطونه السبعة^(٦). لا سر في هذا، إنما السر في غير هذا. والسر من أجل الغير. وما دامت معانيه كثيرة، فإنه من أجل الغير أيضًا. انظر، إن الكلام كثير المعاني، من ثم ينقض القول الثاني القول الأول، ويبطله، ويلغي القول الثالث القول الثاني. إنه تشبث بالظاهر آنذاك، وأخذ بالقول الأول. وقد تعلق القول الآخر بذيل القول الأول. ويُعد هذا مائة ألف تلون وتحول. وكل شيء يقوله، يجيبه عليه بسرعة. **وشكر المنعم واجب**^(٧).

(٦) إشارة إلى الحديث: قال عليه السلام: «إن للقرآن بطنًا، ولبطنه بطنًا إلى سبعة أبطن». وفي رواية: «إلى سبعين بطنًا». موسوعة الفرق، الدرر السنية، المبحث الرابع عشر: الظاهر والباطن، المشرف العام علوي بن عبد القادر السقاف. net.dorar.

(٧) شكر المنعم واجب؛ يقول محمد حسين الجيزاني في كتابه: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة: «بني على مسألة التحسين والتقيح العقليين مسألة: شكر المنعم، هل هو واجب سمعًا أو عقلاً؟ فمن قال: إن العقل يحسن ويقبح، قال: إن شكر المنعم واجب عقلاً، وهؤلاء هم المعتزلة. ومن نفى كون العقل يحسن ويقبح، قال: إن شكر المنعم واجب سمعًا لا عقلاً، وهؤلاء هم الأشاعرة. أما أهل السنة فعندهم أن شكر المنعم واجب بالسمع والعقل والفترة». org.maktaba-al.

المقام الأسمى

إن روعي في مقام لم ترقَ إلى مقام أسمى منه. وكنت أقول: ليس هناك مقام أسمى من هذا المقام. وقد تصرف في روعي حتى ارتقت، وحلقت في اللطف بعينه والرحمة. وينبغي عليك أن تدرك غرضك وما يناسبك مما أقوله للآخرين.

لا رهبانية

لا رهبانية^(٨) ليس معناها أن تجلس مع الناس، بل أن تنظر إلى الناس من بعيد، وتقول الكلام الحق الطيب الحسن.

سر الكلام

إذا جاء رجل في وقت ما، وقال: إن سر الكلام شيء، والكلام الذي لا حرف له ولا صوت شيء آخر. فلتسأله عن الفرق بينهما لما يتم كلامه، وتتواضع له، فيبوح بسر هذا الكلام، ويسوق البراهين، وعلى هذا النحو يشرحه لك. وترى آثار هيبة الله تعالى وعظمته وقدرته واضحة عليه. ويكون أخانا الصغير، وإلا فإنه يلزمه رجل يشفق عليه، ويدد وهمه وخياله وشكه، ويقضي عليها جميعاً.

(٨) لا رهبانية: إشارة إلى الحديث: لا زمام، ولا خزام، ولا رهبانية، ولا تبتل، ولا سياحة في الإسلام. الراوي: طاووس بن كيسان اليماني. المحدث: الألباني. المصدر: السلسلة الصحيحة. خلاصة حكم المحدث: إسناده رجاله ثقات، وهو مرسل. الموسوعة الحديثية: الدرر السنية. net.dorar.

دعوة أم حال؟

لي مع الله وقت^(٩) دعوة وليست حالاً. أي افعلوا مثل هذه الأشياء التي توافق أحوالكم.

الهيئة الإلهية

أرى طول العهد منسياً، ذلك الكفر هو المنسي. إنني أعتزم الرحيل مرة، حتى يشاهد الهيئة الإلهية، فيضطرب حاله كله، ولا يبقى له وجد^(١٠) أو واقعة^(١١) أو مراقبة^(١٢) أو قال أو حال^(١٣). وتذهب جميعها هباء.

(٩) لي مع الله وقت. إشارة إلى الحديث: لي وقت مع الله لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل. والحديث لا أصل له. أحاديث منتشرة لا تصح، الدرر السنية net.dorar.

(١٠) الوجد: الوجد ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنع. وقيل: هو بروق تلمع ثم تخمد سريعاً. والوجد مصادفة الباطن من الله تعالى وارداً يورث فيه حزناً أو سروراً أو يغيره عن هيئته ويُغيّبه عن أوصافه بشهود الحق. وقال أهل الحقيقة: الوجد عجز الروح عن احتمال غلبة الشوق عند وجود حالة الذكر.

د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص ١٨٣.

(١١) الواقعة: الواقعة ما يرد على القلب من عالم الغيب بأي طريق كان. والواقعة الذي يراه السالك الواقع في أثناء الذكر واستغراق حاله مع الله بحيث يغيب عنه المحسوسات، وهو بين النوم واليقظة. وما يراه في حال اليقظة والحضور يُسمى مكاشفة. السابق، ص ١٨٢.

(١٢) المراقبة: المراقبة استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله. وقيل: حقيقة المراقبة أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وقيل: علامة المراقبة إثارة آثاره الله، وتعظيم ما عظمه الله، وتصغير ما صغره الله. السابق، ص ١٦٠.

(١٣) الحال: الحال عند القوم معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب ولا اكتساب لهم من طرب أو حزن أو قبض أو شوق أو انزعاج أو هيئة أو احتياج. فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب. والأحوال تأتي من غير الوجود، والمقامات تحصل ببذل المجهود. وصاحب المقام مُمَكَّن في مقامه، وصاحب الحال مترقٍ عن حاله.

د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص ٧٢.

استياء الخفاش

قال: ما دام لا يتحدث، فكأنه يقول: أيتها الشمس، لا تشرقي، لأن الخفاش يستاء. وهذا هو شأن الشمس، لا شك أنها سوف تشرق، ولن تتخلى عن عملها بسبب استياء الخفاش.

قال: مع أن الشمس لا شأن لها بالخفاش أو بالأعمش، وتنشر النور. لكن عبّاد الشمس يخشون أن تمكر الشمس عليهم بسبب الغصة، فيبتعدون عنها.

قال: لكن ينبغي على عابد الشمس أن يعتقد فيها ذلك الاعتقاد الذي لا يعتقده من صار عُرضة لها.

وتنبغي قوة الاعتقاد للمعتقدين الذين يجتازون الجبل، فيرون الأسد ذا الرؤوس السبعة، ويسمعون زئيره.

إنهم لا يستاءون، بسبب قوة الاعتقاد وعشق الشمس، فالإيمان والعشق يمنحانهم القوة، فتبدد مخاوفهم كلها.

لي مع الله وقت

لي مع الله وقت دعوة، ولو أنها ليست ذلك الحال الذي يحل، فأين «لي» في ذلك الحال؟ وأين «مع»؟ والملك المقرب والنبى المرسل. إنها ثلاثة أشياء مختلفة أو أربعة، ومع أن هذه الكلمات قد وردت في الحديث، لكنها دعوة.

الرجاء في الله تعالى

ليس هناك يأس قط، فإذا بقي نَفْسَان، ففي النَّفْسِ الأول رجاء، وفي النَّفْسِ الثاني اصرخ صرخة. وقد مضيت إلى الأمل الذي هو كل الآمال والمسرات.

لا ينشأ السرور عن الحزن أبدًا، والحزن يتفوق على المسرات كلها. ولكل شخص مسرة: الزاهد والعالم والعابد والولي والنبى. في النهاية لو أن سر الكلام هذا قديم، فإن سرَّ السرِّ الكلام أقدم، وهذا الكلام حسن، لكنه مسهب، يبعث على الملل، وخير الكلام ما قل ودل. وكلام المصطفى أفضل. إن حُجِبَ الظلمة العديدة، وحُجِبَ النور الكثيرة لا تقطع حبل الرجاء في ذات الله.

الحمار يحمل أسفارًا!

لو يطالع شخص ألف رسالة، فإنه لا يحظى بذلك المشرب الذي يعود عليه بفائدة أبدًا، ويكون مثل حمار يحمل أسفارًا^(١٤).

وما تقوله من أن صاحب المشرب نفسه لا يكون له بيات، ويكون

(١٤) الحمار يحمل أسفارًا: إشارة إلى سورة الجمعة، الآية ٥ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَآلَهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

له مشرب يدرك به ذلك الذوق^(١٥)؛ ذلك لأنك تفسر كلامه بعلمك ومعرفتك وفلسفتك.

كيف تتحقق الراحة؟

لقد عاش كثير من الناس مع شخص، وهم لا يعرفون شيئاً عن حاله أبداً، من ثم ماذا يعلمون؟ وبأي شيء يهتدون إلى الطريق؟ ولم يكن لهم نصيب منه سوى التواضع في الظاهر، ومراعاة الظاهر.

وقد أدركت أنك تفعل له شيئاً من دون سبب، وهو لا يقول شيئاً. ولقد أفسد هواه المحبة، وهو يسعى إلى ترسيخ المحبة، وأنت تبددها.

نص عربي^(١٦)

تتعلم الخلاف كأنك مللت من الصحيح المستقيم. إذ الخلاف هو الكلامان المختلفان، لو كان كلام واحد كذباً، لا يكون خلافاً، ولو كان كله صدقاً، لا يكون خلافاً، لعدم التعارض والاختلاف. ولا تزال تقول هذا، وتعارضه ذلك أبداً. ولو ظهر عليه الصدق، لا يظهر من نفسه. هذه الحقيقة التي تدعيها من نفسك. إن كان كذباً، لا يفقدك الاعتراض واللجاج. وإن كان صدقاً، فالله يعاتبه بمخالفتك، ولو كان هو ولياً.

(١٥) الذوق: الذوق عند الصوفية عبارة عن السُّكْر من تذوق شراب العشق للعاشق، كذلك الشوق الذي يحصل من استماع كلام المحبوب، ومن مشاهدته ورؤيته، ولذلك يصير العاشق مسكيناً واقعاً في الوجد، فيغيب عن الشعور، ويصير في مقام المحو المطلق. والذوق أول درجات الشهود بأقل وقت كالبرق، وإذا بقي ساعة وصل لمقام الشهود. محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، الجزء الأول أ-ش، ص ٨٣٤.

(١٦) كل عناوين «نص عربي» وردت في أصل الكتاب الفارسي على هذا النحو، وتم نقلها من دون أي تدخل أو تصويب.

ووجدك ضالاً فهدى

ما معنى هذه الآية: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾^(١٧)؟ وقد قالوا جميعاً: من وجد ما كان قد ضيعه؟ مثل راعٍ يفقد عَجْلاً، فيذهب إلى هذه الناحية وتلك الناحية حتى يجده.

ووجد محمد نفسه ضالة، أي وجدت نَفْسُكَ نَفْسَكَ ضالة، فهدى. وإنما لم يؤنَّث؛ لأن الصيغة تعود إلى معنى النفس، والمقصود الذات والوجود.

أبو بكر وعمر

رضي الله عنهما

قال عليه السلام لجبريل: ما منزلة عمر؟ قال: إذا كان لي أربعة أمثال عُمر نوح، وذكرت لله تعالى فضائله، ما أتممت. قال: وما أبو بكر؟ قال: عمر مع فضائله كلها حسنة من حسنات أبي بكر.

اكتسب من أجلنا

قال: لو تشغل بالكسب، فذلك من أجلنا. ولو يلزمنا شيء في وقت ما، فلتؤدّه. من ثم يجب أن تكثر من الكسب.

ألا تخجل!

قال: ما أطيب حال فلان! ليتني أحظى بذلك الحال! فقلت: إنك تدعي محبتي، ولا تخجل أن تتحدث بمثل هذا الحديث أمامي.

(١٧) ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾. سورة الضحى، آية ٧.

قال: أيعني هذا أن مقامه ذلك ليس عاليًا؟ قلتُ: ذلك المقام عالٍ، وهذا الحال شريف، لا يرضى به إلا من كان صاحبِي.

كاتم الأسرار

إن مثلك في هذا القول عندي مثل شخص صار مقربًا من وزير، فيحسن القول له، والاستماع إليه، ويصير كاتم أسرارهِ. ثم يقول: ليتني كنت من شحنة قونية!

يحبهُ الوزير حبًّا جمًّا، ويطمئن إليه، وقد قال له الوزير صاحب الهمة العالية الذي هو نائب السلطان: أنا اسم، ولك الحكم في الباقي كله. ولو تنافق الشحنة مائة ألف نفاق، وتذلل كثيرًا، فإنها لا تجرؤ على الذهاب إلى الوزير.

صفاء النفس

يجب أن ترحل النفس^(١٨) زمنًا، فيحل الصفاء، ويؤثر النور فيها، وتتقهقر حتى إنها لا تتقدم مرة أخرى. وإلا يكون ذلك النور عارية لها، ولا يكون نورها.

(١٨) النفس: أرادوا بالنفس ما كان معلولًا من أوصاف العبد، ومذمومًا من أخلاقه وأفعاله. وأشد أحكام النفس وأصعبها توهمها أن شيئًا منها حسن أو أن لها استحقاق قدر. ولهذا عد ذلك من الشرك الخفي. ومعالجة الأخلاق في ترك النفس وكسرها أتم من مقاسات الجوع والعطش والسهر وغير ذلك من المجاهدات التي تتضمن سقوط القوة، وإن كان ذلك أيضًا من جملة ترك النفس. أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري: الرسالة القشيرية في علم التصوف، وعليها هوامش من شرح زكريا الأنصاري، مطبوعات مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، ص ٧٥.

ولكن ما دمتَ قد أصبحتَ معبراً لها، فإنها تستقر بداخلك يوماً. إن هذا الكلام من أجل ألا تتمهل، وتحدث.

اهدِ قومي

اهدِ قومي لا يريد بها ظاهر القول. وقد اتبع أصحاب الحُلل هؤلاء موسى، لأنهم وجدوا قليلاً من المنفعة.

من ثم إن الأمر سهل، وما دمتَ على هذا النحو، فإن الإفادة مني سهلة، وسوف أرتقي بك من مرتبة إلى مرتبة.

إن السيد يفر من المنزل الكدر، وما دامت الكدورة قد انقشعت عن ذلك المنزل، يعود مرة أخرى. ولا تبقى كدورة لهذا السيد، لكنها تبقى لذلك الغير. وتبقى من كدورات ذلك المنزل أنه قال هذا، ولم تُقل أنت شيئاً قط.

ويمكن قول عدة كلمات لإظهار الحق، والتدليل على كل كلمة بمائة دليل قاطع.

عصا العبادة

قال: إنه منح عصا العبادة للعميان، لأن هؤلاء القوم لم يبلغوا حقيقة العبودية، ويجوز أن يدركوها بواسطة تلك الأدعية والصلوات. فلماذا يبقون على هذا النحو؟

اقبل الرسول ﷺ بذلك الكمال. لو يعتقد شخص أنه ﷺ كان يسعى لهداية العوام، يكون كافرًا جاهلاً، ولا يفيد أي فائدة، ولا يعلم شيئاً. لكن

الرسول ﷺ كان يتعبد بسبب العشق حتى تورمت قدماه^(١٩)، وكان يُكَبِّرُ على الدنيا، ولا ينشغل بها.

التكبير الأولى

مثلما نهبوا تلك الثمار ومائة جمل محملة بالقمح، فنسيت خديجة التكبير الأولى بسبب الضيق. سلم المصطفى ﷺ - ولم يكن قد رآها على ذلك الحال - وعبَّس وجهه.

أفضت خديجة بذلك العذر للرسول ﷺ. وكان محمد ﷺ قد استاء منها - مع أنها من العشرة المبشرين - حتى قدمت العذر، وقالت: تبت. فقال: لا أعفو عنك حتى ترسلي أَلْفِي جمل، ليحملوا القمح، وتتصدقني به. وبعد ذلك انفرجت أسارير وجهه.

حشر الأجساد

تحشر الأجساد^(٢٠). يقول فلسفي: تحشر الأرواح. إنه أحق، يقرأ

(١٩) حتى تورمت قدماه: إشارة إلى الحديث: قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، فقبل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ الراوي: المغيرة بن شعبة. المحدث: البخاري. المصدر: صحيح البخاري. خلاصة حكم المحدث: صحيح. التخريج: أخرجه البخاري ومسلم. الموسوعة الحديثية، الدرر السنية، net.dorar.

(٢٠) تحشر الأجساد. إشارة إلى قول أبي العلاء المعري م٤٩٤هـ:

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الأجساد قلت إليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالحُसारُ عليكما
طهرت ثوبي للصلاة وقبله طهر فأين الطهر من جسديكما

الديوان al diwan.net.

ورقه، ويعتقد أن كل شيء يجهله، يكون غير موجود، مهما كان ظاهرًا وجليًا مثل الشمس. وقد كان أبو يزيد يمحو غشاوته.

أجب، ولا تصمت

كم يسوء قلبي أن تصمت في وقت الإجابة. وقد حدث الخل كله من أنهم قالوا شيئًا، ولم تُجب أنت، وسكت!

إنك رأيت أمانتي في المنزل، وأدركت حالي. فلو يتحدث شخص غريب، ألا تتحدث أنت؟

إنني أشاهد ذلك الشيء عيانًا أظهر من الشمس، فكيف أخطئ -نسبة إلى قولك- وكيف أتغير؟

نص عربي

أنت كانوا في خوف وضيق، أنه قد قتل الحرامي في المكان الفلاني ثلاثين نفسًا، وأسروا ثلاثين. وذاك الرجل ترونه رأسه مخضوب مرضوخ بالدم.

وأنا أرى الدنيا طيب ساكن أيمن أغنى، وأقرأ الأشعار مشروح الصدر، لا خوف عندي.

يقول لي: إيش فرحك، قدامك ذبحوا ثلاثين نفسًا. قلت: رُح أنت أيضًا، حتى تذيب منجلي على روحك.

يقول: كيف أروح؟ لا تُرح، اقعد، إيش تعرفني من العماد؟ إيش تعمل بي؟ بما يتعلق بنفسي آخذه، وانتف لحيته واحدة واحدة، وما نقدر. يتكلم، تضربني. لا ما وصل الأمر إلى ذلك.

يقول للمريدين: اضربوا ذا. ما يفعل فأيش يضربني، حتى يحضرني منه كل ساعة شي ء.

قد جربت أنه يضربني، ما أقربه، ولو أنه روحي، لأنه نفسي قد ملكته. ما يتأمل أن الله تعالى لا شيء خلقي.

فلنخرج معاً

ذلك الكلام الذي قلته وفحواه: لا تطلب رفيقاً بعدي، فقد تم أداء الأمانة. إن الكلام الذي قلته بعينه هو ترغيب في هذا العالم. من ثم لو أنهم يقولون الصدق، وأن ذلك العالم أفضل. فقل أنت إذن: لماذا لم نخرج معاً؟ فأقول: لا.

كنا قد جلسنا مع جماعة، وكان هناك عربي أيضاً. فكنتُ أخرج، وأقول: لا أوحش الله منكم. وتقول أنت: أهلاً وسهلاً.

قلتُ: حسناً، كان غرضي أن نخرج معاً، وأقول في أثناء الطريق: وانهل سحاب مقلتي كالمنظر. وإنني أقول: لماذا لم يخرج، حتى كنا نتحدث معاً؟

الزوجة والولد

ما أحسن شهاب^(٢١) من كافر! كان يقول باللهجة النيسابورية: فلتنجز عملاً، ولا تجعل نفسك ملولاً، ما دمت فارغاً من هذين الاثنين كليهما: الولد والزوجة.

(٢١) شهاب النيسابوري: من تلاميذ فخر الرازي. انظر: شمس الدين محمد تبريزي: مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، شركت سهامی خوارزمي، چاپ چهارم، تهران، دي ماه ١٣٩١ هـ.ش، ص ٩٢٣.

لا شأن لي بالعوام

لأفرض أن محمدًا الجويني عامِّي، فما شأنه بمولانا؟ قلتُ: لا شأن لي في العالم بهؤلاء العوام، ولم أجد من أجلهم، إنما أعول على هؤلاء الأشخاص الذين هم هداة العالمين إلى الحق.

شريعة محمد ﷺ

جاء رجل، وأطاح بهذه الأمور كلها، وفرض دينه بالقوة. وليس هناك أحد قط لم يحظ بقسط أو نصيب من شريعته. كيف يتحدث بذلك الحديث في وجوده؟

هذا بسبب أن ذلك الشخص الذي هداه الله تعالى إلى الطريق، وما زال عنده شك، يكشف له الخلق، فيرى انعدام بصيرتهم، ويراه الله. وهو يرى عبد الله.

غرور المشايخ

الرومي الذي يدخل من هذا الباب، ويرانا، ويصدقنا، ويميل إلينا، يفيد منا أكثر من إفادته من هؤلاء المشايخ، لأنهم يغترون بأنفسهم. وثروتهم -التي هي التضرع- بددها الزمان. وقد شتتهم الدهر.

أي كلام هذا؟

كان الشيخ محمد يسخر من حال السيد وغيره قائلاً: ما معنى كلامه هذا: لقد هيمن الله تعالى على جسدي كله؟ وكنْتُ أبتسم، فكان يظن أنني أوافق، مع أنني كنتُ أسخر من حاله. ألا تدرك أنت ذلك بنفسك؟

رؤيا مولانا

كان قد رأى حلمًا لشهاب النيسابوري، وكانا رفيقين، ولشهاب ذلك فضل عظيم على الشيخ شهاب الدين - كان مريده النجيب الحلاج يهذي قائلًا: إنه كان مريد الشيخ شهاب الدين - وكان قد رآه في المنام، كان يهرول إلى قمة جبل، وكانت امرأة تهرول في إثره. ووصل إلى قمة الجبل، ثم نزل من فوق الجبل متعجلًا، فتعجبت تلك المرأة قائلة: لقد نجوت! جاء إلى المدرسة في السحر، وطرق الباب قائلاً: توفي شهاب الدين.

انشغلوا بالأمر، فاستتر الشيخ محمد. قالوا: كان هذا شيطانًا. طلع النهار، فبدا شهاب وسط الكتب، وكان قد وضع رأسه على يده، وأسلم الروح مبتسمًا. قبله الشيخ محمد في عينه ووجهه، وودعه، ومضى. كانت جماعة تقول: لا، إنه كان الخضر، أو إنه كان ملاكًا. ولو أنه يعلم علوم الزمان، فلا عجب!

البطون السبعة

رُبَّ تَالٍ لِلْقُرْآنِ^(٢٢). قال عن هذا التالي رُبٌّ، ولم يعمم الحكم. من ثم يبقى تالٍ آخر أهلًا للقرآن، ويكون من صفوة الله تعالى وخاصته،

(٢٢) رُبَّ تَالٍ لِلْقُرْآنِ. إشارة إلى قول أنس بن مالك: رُبَّ تَالٍ لِلْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ يَلْعَنُهُ.

انظر: الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، إعداد ودراسة إصلاح عبد السلام الرفاعي، إشراف ومراجعة د. عبد الصبور شاهين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ١٤٥.

لأنه وقف على معانيه السبعة. «وللقرآن ظهر وبطن، ولبطنه بطن إلى سبعة أبطن» (٢٣).

هذه البطون السبعة غير لازمة، لأن كل شيء محفوظ ومعهود لدى الخلق. وقد عرفوا غير هذا وما وراء هذا، وأصبح ذلك شغلهم. وأدركوا السبعة بطون والمائة ألف.

وهناك لطيفة أخرى ألا وهي: أن المحبوب يتدلل في وقت ما. من يكون طالباً للحق ومن خاصته، يحتل مرتبة أسمى من هذه المرتبة، ألا وهي مرتبة الأخص. ولم يرد ذكرهم في القرآن إلا بالإشارة، ولا يصدق عليهم أبداً قول: رَبِّ تَالِ لِلْقُرْآنِ. إنهم لا يتمون إلى هذا القسم أو ذاك، وهم صفوة الله تعالى وخاصته.

هل أدركتَ هذا المعنى على هذا النحو قبل أن أفسره لك؟ قلتُ: لا. قال: لا تتكلف الأمر، فلا تكلف هنا.

(٢٣) للقرآن ظهر وبطن، ولبطنه بطن إلى سبعة أبطن. إشارة إلى الحديث:

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر وبطن، ولكل حد ومطلع.

الراوي: عبد الله بن مسعود. المحدث: ابن عبد البر. المصدر: التمهيد.

خلاصة حكم المحدث: صحيح.

والمراد بقوله ﷺ: أنزل القرآن على سبعة أحرف، أي أنزل على سبعة أوجه، أو سبع لهجات، أو سبع قراءات، أو سبعة أحكام، وأي قراءة يُقرأ بها مقبولة. انظر: الموسوعة الحديثية، الدرر السنية dorar.net.

قانون الشتاء

قال: يصعب عليّ الذهاب للسقاية، والصحراء يكسوها الثلج، وينبغي عليّ هذا. قال: الشيء الذي فكر فيه الإنسان منذ الأزل، وأنه سوف يحدث له كذا وكذا وكذا إلى آخره، واستقر عليه، لا يبقى عسيرًا، ولا يكون صعبًا.

إن قانون الشتاء قديم. أجل، إذا كان الشتاء يحل محل الربيع؛ قلت: وا أسفاه، ما هذا؟

إنني لم أكن قد فكرت في نفسي. وليس هذا القانون قانون الآباء والأجداد. لكن الخريف يحل بعد الصيف، ويأتي الشتاء بعد الخريف.

حمام النساء

ذلك الشخص الذي ذهب إلى حمام النساء، وتعرى. كانت النساء قد قررن جميعًا أن يتفنن لحيته، وينزعن شعره، ويقطعنه بأسنانهن، ويقذفنه بالطسوت والأمشاط، ويلعننه، ويحملنه إلى الشحنة، ويُطحن به.

لكن لم يكن متوقعًا أن يقطعن عضوه وخصيته. لا جرم أنه نسي تلك اللحظة، وتوَيَّل بسبب تلك اللحظة.

ربيع الشتاء

كنتُ قد عزمْتُ على أن أكون موضع اهتمامك وإحسانك. وقد عطفتُ عليّ، ورق قلبك لي. من ثم مهما جال بخاطري، فإنني لم أكن أتصور، وصعب عليّ أن تحملني إلى القاضي أربع مرات.

وكنت أستطيع ألا تجدني حتى تحملني إلى القاضي، وهناك مائة
طريقة. فلو أن ذلك الوقت الذي كنت أمضي فيه كان الشتاء، ولم يكن
الربيع، لَمَا ذهبت، ولقبت في المدينة. ولكن يبلغك الخبر بعد شهرين.
من ثم الشتاء وسيلة كي يجتمع الأصحاب، ويصطفوا. لا كما
تحججت قائلًا: أذهب إلى الشاطئ للتنزه. وخرجت.

ولما تمعن النظر يصير الربيع شتاء، ويصبح الشتاء ربيعًا.

الأنوار الإلهية

لو يعرفني شخص حق المعرفة، يرتاح إليّ كثيرًا بمجرد أن يخلص
لي، كما أنه يطمئن إليّ للغاية، وما يرد على خاطره، ربما لم يرد على
خاطري.

ينبغي على مائة مثل أبي بكر الربابي وجحا^(٢٤) طلب العلم هنا.

ماذا أفعل؟ أي درجة يبلغها احتياله؟ إلى أين يصل أمره؟ وقد وهبكم
الله تعالى تلك الأنوار التي كان قد أخفاها في بيت أسرارهِ لخاصته من
العباد.

(٢٤) أبو بكر الربابي وجحا: من الشخصيات الأسطورية التي يُضرب بها المثل في السخرية
والهزل والمطايبة.

انظر: مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، ص ٤٧٤.

من رآه؟

من رآه؟ بما أنك عماد^(٢٥) فدعواك هي رؤية الله تعالى. أنت يا كريبه الرائحة، كيف لا تقبل أن يتحدث الدرويش بحقيقة التفسير، وأن موسى رضي الله عنه قد رآه.

إنه قال: لم يره في ذلك الحال، ولم يقل: إنه لم يره مطلقاً. فهل كان موسى أقل منك منزلة في ذلك الحال؟ كيف يكون ذلك؟ ومتى قلت أنا إنه رآه في هذا الحال؟

الانزواء في الخلوة

لماذا يأتي هو إليك؟ ولماذا لا تذهب أنت إليه؟ إنه عالم وواعظ وطالب. وأنا شيخ كامل. وهو أقل علماً مني، إنه طالب للحق بصدق. وأنت شيخ بالتزوير، طالب للدنيا والخانقاه والقبول، وهو فارغ منها جميعاً. هيا، إنك عماد في هذه اللحظة، فكيف تنقل عنه؟ قل، حتى أجيبك. ماذا تقول أيضاً؟ هيا، تعال، وقل: أنا أنقل عنه أو لست أنا. من ثم ماذا تنقل؟

لأي شيء يصلحون؟ إنهم لا يصلحون للدين أو للدنيا، إنهم محزونون.

(٢٥) عماد: ربما المقصود هو: عماد الدين الباري مريد أوحى الدين الكرمانى.

انظر: السابق، ص ٤٠٨.

اعتذر، وقل: أذهب إلى الخلوة^(٢٦) من أجل الكشف^(٢٧). ينبغي لك عليهم أم ينبغي عليهم لك؟ أنت منا ونحن منك.

والله، إنهم ليسوا منا ولا نحن منهم. إن له لحية، وليست لي لحية^(٢٨).
ها نحن هنا من أجل مولانا في النهاية. وما دام مولانا يجتنبنا، فإنه ينبغي لي التفكير في الخلوة، ويتعين عليّ الخلوة يومين أو ثلاثة. فقد قلت: كنتُ أفعل؟ كيف؟

نور السماوات والأرضين

إن الشمس التي تضيء العالم بأسره، تدرك النور الذي ينبعث من فمي ومن حديثي، فتتوارى خلف الكلمات.

(٢٦) الخلوة: الخلوة محادثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره. هذا حقيقة الخلوة ومعناها، وأما صورتها فهي ما يتوسل به إلى هذا المعنى من التبتُّل إلى الله، والانقطاع عن الغير.
د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص ٨٢.

(٢٧) الكشف: الكشف هو بيان ما يستتر على الفهم، فيكشف عنه للعبد كأنه رأي عين. قال أبو محمد الجريري: من لم يعمل فيما بينه وبين الله تعالى بالتقوى والمراقبة، لم يصل إلى الكشف والمشاهدة. وقال النوري رحمه الله: مكاشفات العيون بالأبصار ومكاشفات القلوب بالاتصال.

أبو نصر السراج الطوسي: اللمع، حققه وقدم له وخرج أحاديثه د. عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر ودار المثنى ببغداد، ١٣٨٠ - ١٩٩٠، ص ٤٢٢.

(٢٨) إن له لحية وليست لي لحية: يتضح من المقالات أن شمسًا تبريزي لم تكن له لحية طويلة، وكان مولانا جلال الدين الرومي -الذي كان يقلده في الملبس والهيئة- يجتنب إطالة اللحية أيضًا. ويقول الأفلاكي: طلب مولانا من المزين أن يقصر له لحيته بالقدر الذي يميز الرجل عن المرأة، وكان يذم عادة الصوفية الذين يتباهون باللحية الطويلة.
انظر: مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، ص ٩٣٧.

إن ظهر هذه الشمس يتجه نحوهم، ووجهها يتجه نحو السماوات.
ونور السماوات والأرضين مستمد منها.

إن وجه الشمس يتجه نحو مولانا، لأن وجه مولانا يتجه نحو
الشمس. ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (٢٩).

اعرف ما الغرض من السؤال، ثم أجب عنه إجابة متلونة. والأسهل
تذكير النفس، والنفس تكون أكثر استعدادًا في البداية، على خلاف ما تقول.

من هو؟

لا إله إلا هو، فمن هو؟ وإلى من الإشارة؟

يقول شخص: ما دام هذا المنبر في هذا الجامع، لم يقل شخص هذا
الكلام بهذه الصراحة. وقد قال المصطفى ﷺ كلامًا غامضًا مبهمًا. ولم
يقُل أحد هذا القول بهذه الصراحة وهذا الوضوح. ولن يُقال أبدًا.

إن هذا النوع من الخلق الذي أنتمي إليه، لم يختلط بالناس أو يندمج
معهم، ولم تكن هذه سُنَّته. وإذا قال: يبقى أخي بعدي، فهذه أدنى مرتبة
من مراتب غب.

اليوم الذي يأتي فيه الدور، تنشرح فيه القلوب جميعها، وتسعد،
وترقص، وتخفق، وتبتسم. قالوا: لعل الدور ليس اليوم! وبهذا أتجاوز
ذلك الألم الذي كان الجبل يتصدع منه.

(٢٩) ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾: سورة العنكبوت، جزء من الآية ٦٩.

«ارجعوا وراءكم»

إذا كان الشيخ أبو بكر^(٣٠) يستمع إلى خمس مواعظ منك، لَمَا كان يطيق ذلك. وهؤلاء الذين تنظر إليهم اليوم باحتقار، سوف يأتي يوم يمرون فيه كالبرق أمام عينيك بسبب اللطف، فتقول أنت: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْنِيسَ مِنْ تَوْرِكُمْ﴾^(٣١) من دون جدوى. ويقولون هم: ﴿أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾^(٣٢).

قاطن الجبل

كان هناك زاهد في جبل، كان الزاهد جبلاً، ولم يكن إنساناً، كان إنساناً بين الناس الذين يفهمون ويتدبرون، الناس الجديرون بمعرفة الله تعالى. ماذا كان يفعل في الجبل؟ ما شأن الإنسان بالحجر؟

كن وسط الناس، وابقَ وحيداً في الوقت نفسه، واختل، واعتزل.
يقول المصطفى ﷺ كذلك: لا رهبانية في الإسلام^(٣٣). ولا رهبانية نهى عن الانقطاع إلى الجبل في تفسير. وهم يعاشرون الناس، ويُعرفون الخلق بأنفسهم.

(٣٠) أبو بكر: يبدو أن المقصود هو الشيخ أبو بكر المشهور بالسلال الذي كان شمس الدين التبريزي مريداً له في شبابه.

انظر: مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، ص ٩٣٨.

(٣١) ﴿أَنْظُرُونَا نَقْنِيسَ مِنْ تَوْرِكُمْ﴾: سورة الحديد، جزء من الآية ١٣.

(٣٢) ﴿أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾: سورة الحديد، جزء من الآية ١٣.

(٣٣) لا رهبانية في الإسلام. إشارة إلى الحديث: لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي ترك النساء، بعث إليه رسول الله ﷺ، فقال: يا عثمان، إني لم أؤمر بالرهبانية، أرغبت عن سنتي؟ الراوي: سعد بن أبي وقاص. المحدث: الألباني. المصدر: السلسلة الصحيحة.

خلاصة حكم المحدث: إسناده حسن. الموسوعة الحديثية، الدرر السنية net.dorar.

ولا رهبانية هي نهى عن ترك الزواج في تفسير آخر. فتزوج وكن مجرداً، أي اجتنب الجميع، وتبرأ من الجميع.

كان أهل المدينة جميعاً والملك يذهبون لزيارة قاطن الجبل في كل سنة. وكانت حلاوة قبول الخلق له هذه قد أفقدته الشهية، فامتنع عن الطعام تماماً.

كان رجل غريب عزيز درويش يمر من ذلك المكان قاصداً، وكان يقول: ليس هناك عيد، ليس هناك نيروز^(٣٤)، ما هذا الجمع؟ فقال له ذلك الرجل: هل أنت أحمق؟ هل أنت مجنون؟

شعر

أي خبر ليلي عن حال المجنون؟

فالمجنون يعلم كيف يكون حال المجنون!

لما قال له: هل أنت مجنون؟ قال: لا تقل هكذا، وقال أيضاً: لقد تبت، حلّني.

وتوسل إليه. وكان يقول في نفسه: تفوح رائحة الذوق من كلام هذا الرجل. وتاب وتواضع ببركاته، وبركات ذلك التواضع اعتراه ذوق بسبب ذلك الكلام، فقال: في هذا الجبل زاهد، يأتون لزيارته.

(٣٤) النيروز: معربة عن الفارسية، فهي في الفارسية نوروز، وهو عندهم أول يوم من السنة الشمسية الهجرية، ويوافق بداية فصل الربيع، وهو اليوم الحادي والعشرين من آذار.

نور الصمت

قال مولانا: لو أتحدث عن كمال القدرة، يبدو هذا الجسم أطيّب من القلب والروح. والمعنى والعبرة غبن القول. من ثم أصمت.

فجاءت الإجابة: لو أنك تصمت، ففي صمتك نور، وفي قولك نور الصمت أيضًا وفائدة الكلام.

فليرحم الله خاطرك مائة ألف رحمة، لأن العالم بأسره لم يجُل في ذلك الخاطر قط. ولم ينشغل الخاطر في هذه الساعة بعالمي. وقد انشغل خاطره بي وبعملي الظاهر الصائب على هذا النحو.

الكلام العذب

ذهب درويش إلى الملك، وسلم عليه، وقال: استمع إلى كلمة مني. جذب الملك العنان، وخفق قلبه بسبب حلاوة كلامه وقوله، فترجل، وكان يقول في نفسه: أفنديه بكل شيء يريد. لو يريد الملك، أو يرغب في ابنتي الجميلة، ولو يطلب زوجتي، أطلقها، وأمنحها له.

قال الملك: كل شيء تريده أيها الدرويش، سوف ألبيه لك، لأنك تتسم بحسن الخلق.

قال الدرويش: أذلك جئتُ؟ فقال الملك في نفسه: لا يتضح من كلامه هذا أن له حاجة من الحاجات.

قال الملك: أيها الدرويش، إن أخلاقك حسنة للغاية. فقال الدرويش: لقد قال لي كلمة، فصار كلامي عذبا على هذا النحو، بسبب

حلاوة كلامه، حتى إنك ترجلت وتواضعت كذلك. ولو تأتي إلينا يتم ذلك الكلام في وجودك.

أيها الملك، أبعد الخلق عنك لحظة، حتى أتحدث إليك.
لقد أقبل الملك على الدرويش في المقام الذي لا يبدو فيه أن هذا هو الدرويش، وذاك هو الملك، وليس العكس.

تحدث من دون حرج

عجباً لقول بعض العارفين والمشايخ من أهل هذا العالم! إنهم يشاهدون شيئاً في هذا العالم، فيقولون أقوالاً عجيبة! أي أن أهل العالم يتسمون بهذه الخسة والدونية التي تؤثر على أقوالهم. فيقولون هذه الأعاجيب من أجل الموعظة.

والعجيب أنك بقيت على هذا النحو، فلا تبَقْ هكذا، وقد انقضى هذا الوقت. فماذا يقول كل من كان يعجز عن جواب الأمر؟

إنك تقول فوق المنبر: إنني لم أرِدَ التذكير، إنني أتحدث لكي يستفيدوا. إن الأمر ليس حتمياً، فتحدث إذا لم يكن هناك حرج. ولقد تركت الأمر زمناً بسبب الحرج، ورجعت عن باب محكمة القاضي. من ثم إذا كان هناك حرج، فلا تتحدث.

أطع الأمر

غار الله تعالى على الأنبياء والأولياء، لأن الشيء الذي أظهره لك، لم يظهره للأنبياء أو للأولياء. وأنت تقصر في تلبية الأمر، وتوقع أن يدوم لك هذا طوال العمر.

من ثم إنه يُبلِّغ الأمر، حتى تتم تلييته. فتَقَبَّل الأمر، وتلبيه بعد ذلك. لكنك لا تطيق طاعة الأمر، فكيف تحتمل الأمر؟ وقد قال الرسول ﷺ بسبب عظم الأمر: شيبتي سورة هود^(٣٥).

نص عربي

وأما قولك بأن الكلام بحضورك حرام. نعم الكلام بحضورنا حرام، إذا كان بغير إذن، أما إذا كان بإذن فهو حلال. واحد شتم إياس^(٣٦)، السلطان لا يقتله، لأنه يقول: من هو حتى

(٣٥) شيبتي سورة هود. إشارة إلى الحديث: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله قد شِبتَ، قال: شيبتي هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت. الراوي: عبد الله بن عباس. المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الترمذي. خلاصة حكم المحدث: صحيح. التخریج: أخرجه الترمذي واللفظ له، وابن سعد في الطبقات الكبرى. وقد شيب السور المذكورة الرسول ﷺ خوفاً وإشفاقاً على أمته، لما فيها من ذكر لهلاك الأمم السابقة، وعذابهم. وذكر لأحوال القيامة. انظر: الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

(٣٦) إياس والسلطان: المقصود السلطان محمود الغزنوي وغلामه إياز. والسلطان محمود الغزنوي هو: أبو القاسم الملقب بيمين الدولة ٣٨٧هـ - ٤٢١هـ ابن سبكتكين الأكبر، وثالث ملوك الدولة الغزنوية. تولى العرش في سنة ٣٨٩هـ بعد هزيمة أخيه إسماعيل، واستولى على خراسان بعد هزيمة عبد الملك بن نوح الساماني. وفي سنة ٣٩٣هـ ضم سيستان وقهستان إلى ملكه، وسيطر على خوارزم في سنة ٤٠١هـ، وفي سنة ٤٢٠هـ استولى على الري وأصفهان. كما جرد حملاته على بلاد الهند، وفتح مولتان في سنة ٣٩٦هـ. أما إياز فهو: أبو النجم إياز أولماق، من تركمان بلخ، وأحد غلمان السلطان محمود الغزنوي وخاصته. اتسم إياز بالذكاء والفراصة والوفاء وحفظ الأسرار، لذا أحبه السلطان محمود الغزنوي، واهتم به اهتماماً كبيراً كان حديث العامة والخاصة. وقد أفاد الشعراء الصوفية من قصة السلطان محمود وإياز مثل: السنائي الغزنوي م٥٣٥هـ، وفريد الدين العطار م٦٢٧هـ على أرجح الأقوال، وجلال الدين الرومي م٦٧٢هـ، والحافظ الشيرازي م٧٩١هـ. ووظفوها لبيان الموضوعات العرفانية.

أقتله في قدم إياس؟ مثل هذا لا يسوي القتل لأجله، إلا أنه يقطع
جامكيته، وهو سر الإيمان، وهو غذاء الروح، والسخونة التي فيه،
والرزق الذي نصيبه ينقطع منه. كُرزواني كان يعظ خيرًا من خجندي
بكثير وألد وأسخن وأحلى.

فقال لفلان: أنا أعتقد في فلان. قال هذا الشاب المعلم. قال: لا
يقول هكذا، وما سكت كما يسكت مولانا، بل أجابه. والله ألف مثله
ما يصل إلى شعر مولانا في جميع الفنون. والله، موسى الكليم ما كان
مثل مولانا في كونه حاضر الجواب وهو يسكت. وكل هذه الوقائع
وقعت لك قبلي، كلها كانت لسكوتك.

ما أطيب الافتراء الأكثر نورًا وبهاء وبركة من ألف صدق. عماد لا
يسمع كلامي بالعجلة، لأنه يحرك بحركة زيادة، ولو أصغى بالاعتقاد
كثيرًا كثيرًا. إلا أن ذلك الميل الذي وقع إليه أول مرة، يؤول إلى أن
يدرك شيئًا، ولو بقي من عمره يومًا.

قلت لخواجكي^(٣٧): مذ خرجت من تبريز، ما رأيت أحدًا. يعني من
هؤلاء الظاهرين، لا من المحققين، لأن مرادهم من السؤال كان هم الظاهرين.

ونظم جلال الدين الرومي في المثنوي أربع عشرة قصة متعلقة بمحمود الغزنوي وإياز،
وبين في قصص العشق هذه العلاقة بين العبد والمعبود، وجعل محمودًا رمز الكمال
والجمال المطلق، وإيازًا رمز الإنسان الكامل والمحِب الصادق.

انظر: د. محمد معين، فرهنگ فارسي، تهران ١٣٧٥ هـ. ش، جلد ششم أعلام غ-ي،
ص ١٩٢٦. سيد علي كرامتي مقدم: قصة محمود وأوصاف إياز، فصل نامۀ تخصص
أدبيات فارسي، دانشگاه آزاد إسلامي، مشهد، ص ١٥١-١٥٣، ١٥٩-١٦١. ir.SiD.

(٣٧) خواجكي: من مريدي بهاء الدين ولد أبي مولانا جلال الدين الرومي، ويبدو أنه جاء
بصحبه من خراسان إلى قونية، وكان على قيد الحياة حتى قدوم شمس الدين التبريزي
إلى قونية. انظر: مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، ص ٣٣٢.

سير يُرجم على البحر أنه يقل مأؤه، ثم أي بحر؟ إنما لم تقدر على جوابه، لأنك تعتقد فيه، فتأخذك مهابته عن الجواب. وإنما لا ينجع فيهم جوابك، ولا يؤثر، لأنك لا تذكرني على طريق العظمة والتعظيم، إنما تقول شيئاً تجب الخلاف.

هذا الكلام كله الذي جرى خارج من الجلد، والباطن خالٍ عن هذا الكل. وأنا مستمر على حالي أبداً، لا أبرح عن ذلك الحال، كيف أني لا أذكر ذلك العالم الذي جئنا مثل ما تذكر أنت وتعرف، وكلانا من بلد واحد؟ قال: لأنك جئت سكراناً من الحق لا من الخمر. أنا أيضاً شربت. ولكن من الناس من يسكر بقدرين، ومن الناس من يسخن أذنيه، ولكن يسكر بألف قدح، ويكون نفسه في يده، وخبره معه. فخلّ الاعتراض، لا تقول: لا، بل قل: نعم.

الأولى أن يكون هذا الحمار أصدقاءنا. إن أعطوا شيئاً، والأجنبي يكون لهم خير من أن يكون لواحد أجنبي. الناس يحسبون أن هذا الاستقصار للطمع. والله الإخوان لو عرفوني، كان لطيفاً لذيداً.

قال علي رضي الله عنه: الرجولية في ثلاثة مواطن: في الحرب، ومع الزوجة في المجامعة، وفي البيع والشراء أن لا يغبن. وكانت الخزائن عند العطاء عنده بفلس. إما أن يعطي، وإما أمشي أنا إلى آق سرا.

أظهرت كلاماً لذيداً، في حسرته أرواح المتقدمين، أقول معكم في السر حتى لا يسمع هو. فتسمع أولاً. فلما أظهرت هذا الكلام، وقد اشتهر أن المانع فلان، لو لم يعظ في الأول، ما كان يعرفك أحد، كانوا يقولون: غاية الأمر أنه عالم فاضل. لأن لمولانا شيئاً ما لم يسخن، يحسبون أن لا فصاحة له، فإن سخن، ظهرت به حلاوة في الكلام، يعشقه الأولون والآخرون، فيحسبون أنه مني.

معنى قولى أنا ما أعتقد فى معنى الذى يعتقد مولانا بهذا الحد.
ولكن أعرف أنى لا أخلو عن شىء. يعنى لا أنظر إلى ذلك، وليس لى
التفات إلى التفاتاً مذموماً، هو أنانية.

وإنما قلت ذلك، حتى تقول أنت. إن هذا هو الذى يقوله هو. أما
الذى عندي فهو أنه أضعاف أضعاف ما أقول، ولا ينتهى وهمى إلى
ذلك. أعصر الكلام عصرًا عظيمًا، ولا أتجاوز عنه، وأخلفه. ويتضرع
الكلام إن خلتنى بشك، أقول: لا.

لله تعالى طالب فى طلبه غير كامل، وطالب فى طلبه كامل.
ومطلوب محبوب فى محبوبيته غير كامل، غير متمكن. والكل متفقون
على أن ليس فوق العارف شىء. ولكن فوقه شيئاً آخر.

مثلاً: الوزير عارف بأحوال السلطان وخلقه وطبعه، وسبب
غضبه، وسبب رضاه من غير تقليد، مع هذا هو غير آمن. فكم وزيراً
ضرب عنقه! ولكن إياس آمن ساكن، لا يخاف من شىء. إنما يفرح
السلطان إذا أذنب ذنبًا، أو أتلف شيئًا، أو كسر شيئًا، أو صب الماء على
ثيابه، أو بدد الطعام على ذيله، والسلطان من القهقهة طول النهار قاعد
ينظر جناية إياس، لأنه يعرف أنه محبوب لا يبالى. فهل يقدر الوزير
-مع معرفته- على شىء من هذا؟ وإنه والله لو نظر الوزير إلى إياس
بمقلة عينه، ألف رأس لا يسوى بفلس كان.

أودعت سرًّا إلى خواجكى، ما قاله لأحد ولا لمولانا، ووفى بالسر
كنمًا، ووأده إلى القبر.

لو كنت قاعدًا مع محمد ﷺ، وتمنيت رؤية موسى، فأنت مغبون

ولدي عيسى، لأن الصيد محله في جوف الفراء^(٣٨).

أما لو رأيت موسى، وحدثك عن محمد ﷺ، ومتى يحدثك لغيرته على اسمه؟ ولكن لو قرأت وصفه في التوراة، وأنت قارئ، وتمنيت محمداً، وقلت: آه. يقتلك موسى ألف تقتيلة، يا ليت ما أعطيتني هذه النبوة، وأخرت زماني، حتى أقعد أبصر صورته الظاهرة. فتعال، حتى أتأوه أنا وأنت ستة أشهر مع سيد. قاعد أسمع.

المتفرج في الدنيا غير، والمتكلم في الدنيا غير. أنا جئت من بلدي، أقول: أمشي أبصر عالمك. قال: البتة أمشي أبصر. فلما جاء في هذه المقربة، قال: هكذا هو عالمك. لا يش ما تخبرهم عن ذلك العالم. قال: لا يليقوا، خليهم في هذا الآتون.

قال: فرأى بين ذلك واحداً بلدية، عرفه، فقال: إيش تعمل هيهنا؟ فعرفه، فقال: ما تعرف ذلك العالم؟ قال: كيف لا أعرف؟ أنت تعرف، أنا ما أعرف؟ قال: نمشي. قال: نعم. أو مات نتفرج ونمشي. قال: فإيش مكثنا هيهنا. قال: حتى ربما ينحي جماعة من هذا القير، وأن الدنيا قير ملصق، توقد النار حواليه حتى تلين، لا بحد أن يحرق.

قال: كُرزواني، وإني كان لله تعالى عبداً، إذا أودى، كب على

(٣٨) الصيد كله في جوف الفراء: مثل قديم أصله: كل الصيد في جوف الفراء، وقصته فحواها أن جماعة خرجت للصيد، فصاد أحدهم ظبياً، وصاد آخر أرنباً، وصاد آخر فرأى أي حماراً وحشياً، من ثم قال لأصحابه: كل الصيد في جوف الفراء. أي جميع ما صدموه يعد يسيراً في جنب ما صدمته.

انظر: أبو هلال العسكري: كتاب جمهرة الأمثال، حققه وعلق حواشيه ووضع فهرسه محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، دار الجيل بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، الجزء الثاني، ص ١٦٢، ١٦٣.

وجهه في المقابر، حتى يرفع رأسه، وقد أبلى ذلك الشخص بالبلاء.
قلت: هذا الرجل كان ضعيفاً قاصراً. قال: كيف؟ قلت: لأنه ترك متابعة
محمد ﷺ، وأخذ متابعة نوح.

قال: متابعة الأنبياء واجب. قلت: هذا ليس جوابي. قال: تتأمل
في سؤالك، ولا تتأمل في جوابي، تتأمل في سؤالك. تبسمت وقلت:
تأملت في جوابك، فوقع له مني دهشة!

الورقة ذات الوجهين

إن شهوة الإسهاب في الحديث تصح حين يكون له معنى. وقد
تغلب المتحدث الشهوة، وتكون حجاباً له. لكن كيف يكون ذلك؟
افترض أن هناك ورقة لها وجهان: وجه منها ناحيتك، والوجه الآخر ناحية
المحبيب، أو ناحية كل موجود. قرأت أنت تلك الصفحة المواجهة لك،
وينبغي عليك قراءة الصفحة المواجهة للمحبيب أيضاً.

لا تأكل اليخنة^(٣٩)

لا تأكل اليخنة، إنه حامض، يفسد ويُفسد المعدة. الحلوى أفضل
لك من الحامض.

بيكي كثيراً ويقول: آه آه آه. لا تضحك هكذا: هـ هـ هـ، اضحك
على هذا النحو: هـ هـ هـ، وبعد هـ هـ هـ تؤلمك عينك، فينبغي عليك أن
تقول: حقيققو قو قو ثلاث مرات. وما فائدتها؟

(٣٩) اليخنة: اليخنة هي طعام مؤلف من مكونات غذائية مثل الخضار واللحوم مغلية، ويُقدم
مع المرقّة. ar.wikipedia.org

كيف يكون قطنا الصغير في حلب؟ لا خير في الناس!

كنت قد كتبت: لماذا تحزن لو أن ألفاً مثلي حلوا محلي؟ على العكس، كان ينبغي عليّ أنا الكتابة.

ذكر عن أبي سعيد بن أبي الخير^(٤٠) أنه ثمل للغاية. لقد كان الجميع على هذا النحو، يذكرون أسماءهم فيفتضحون. إنهم يهتمون المشايخ.

اسلك الطريق

هذا الطريق عجيب للغاية ومبهم. وها هم المشايخ قد اطمأنوا. إنه ليس عدة طرق، ولا يمكن أن يكون كذلك. فاحذر ألا تسلكه. ونور الله تعالى يعم جهاته الست.

(٤٠) أبو سعيد بن أبي الخير: هو أبو سعيد فضل الله بن أبي الخير محمد بن أحمد الميهني، ولد في مدينة ميهنة التابعة لإقليم خراسان في سنة ٣٥٧هـ.

تعلم أبو سعيد القرآن والنحو والصرف في ميهنة ثم انتقل إلى مرو لدراسة الفقه على يد أبي عبد الله الحضري وأبي بكر القفال.

وبعد أن أمضى عشر سنوات في مرو توجه إلى سرخس لدراسة علوم الدين على يد أبي علي زاهر بن أحمد.

وفي سرخس التقى بالشيخ الصوفي أبي الفضل حسن، فاتخذته شيخاً له، وترك دراسة علوم الدين، وبعد وفاة أبي الفضل التحق بخدمة الشيخ أبي عبد الرحمن السلمي في نيسابور، وارتدى على يديه الخرقة، ثم التحق بخدمة أبي العباس القصاب في آمل، ونال على يديه الخرقة الثانية، ثم عاد إلى ميهنة، وبلغ مرحلة الكشف الكامل وهو في الأربعين من عمره. وحول منزله إلى خانقاه، وتجمع حوله المريدون، ثم انتقل إلى نيسابور، وكان يعقد المجالس، ويعظ الناس ويرشدهم. ثم عاد إلى ميهنة وظل بها إلى أن توفي في سنة ٤٤٠هـ. انظر: محمد بن المنور بن أبي سعيد بن طاهر بن أبي سعيد بن أبي الخير: أسرار التوحيد في مقامات الشيخ سعيد، ترجمة: إسعاد عبد الهادي قنديل، مراجعة د. يحيى الخشاب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص ١٣-١٥.

والجبال أوتاداً^(٤١)

لقد بقي فلسفي أعلى الأفلاك السبعة بين الفضاء والخلاء. ولما كان لكل ظاهر حقيقة، فلتقرأ من القرآن: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾.

يقول: إنها جبال وليست أحجاراً، لكنها متفرقة. ألا ترى أن هذه الجبال راسخة، فمن يرسوها؟ لقد أرسيت من أجل هذه الخيمة. وإذا كانت أوتاداً، فكيف تنصب الخيمة من دون وجودها؟
أبو العجب هذا يسيء إليّ، والغلام يحترمني. فانظر، كيف يحيا شخص معك؟

نص عربي

إنك لا تعرفني، والله لو أنك عرفتني، لارتعدت أعضاؤك، وخفق قلبك. يقول هذا وليّ، وهو أعز أولياء الله تعالى الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما. وهذا الولي ههنا، وهذا المحبوب جالس ههنا. ولا بد من حضور الحبيب حيث حضر المحبوب.

ولكن في هذه الغفلة مصلحة، ولكن لا بهذا الحد. أنا كنت أدهش منك، أستحيي إذا خدمتني قبل هذا، والآن لا أدهش، لأن الخدمة من العارف حسنة، لأنه خالٍ عن الأنانية، فإنه يقول: ما عبدناك حق عبادتك^(٤٢)، لا الذي يقول: سبحانه ما أعظم شاني^(٤٣).

لكل زمان صادق واحد، ولكن صادق شيخ معه ظاهر صديق

(٤١) ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾: سورة النبأ، الآية ٧.

(٤٢) إنه يقول: ما عبدناك حق عبادتك. المقصود الرسول ﷺ.

(٤٣) الذي يقول: سبحانه ما أعظم شاني: المقصود أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي

م ٢٦١هـ.

واحد، والبقية جاءوا بريح، رجعوا بريح. أما لا تيأس، وكن ذلك الواحد، لأن ألف صديق منهم واحد بين المذنبين، هو العاشق الذي تداخله الحجب.

وإلا إن نفص المسيح -وهو الملك- جناحه؛ لأحرقت الدنيا من نور العقل الفياض. أين هو والغريق في طين الشهوات؟ أين؟ فإن أثبته لا يصعد إلى سبالة. بها ينبغي أنه إذا تكلم، وطاب القوم. يقول: هذا كلام فلان، حتى ينفعهم، ربما يهتدي ويصل إليهم رائحة من عالم الحق. لا شك أن نفسه نفس الجنة، بل نفس الحق.

إذا أردتم أن تكونوا أعز عند الناس فاحترموا الإخوان المقربين. قال: بلى. إيش معنى بلى؟ قل: أي والله، قل هكذا. نحن ما ندعو أحداً. كل من جاء لله تعالى، لا يخيب، ويحصل له أضعاف.

قال: مولانا لا يعظ لثلاثة معانٍ: أحدها دهشة الفرح، والثاني: دهشة الحضور، والثالث كله النفع. وإن كان ينبغي أن كلباً يمر ببابه، عزم في الجواب. أما الهيبة فإن الإرادة متى يغلب الهيبة. وأما الثاني وقتاً كان المحل غير قابل. كان الكلام ظلم كتب، لا يكلمه بهذا إلا، ولكن ما يكلمه بهذا إلا في عصري وزماني، بها يكذب كثيراً. وقد تاب عندي من الحشيش والكذب، ولكن الآن سهو.

العلم اللدني

ينقسم العباد أصحاب العلم اللدني إلى قسمين: قسم منهما يهبط عليه ذلك العلم مثل السيل، فيكونون معبراً له، ونادراً ما يستطيع أناس من هؤلاء القوم الكلام، حتى يجيوا.

وقد اعتراك حال حسن الصورة والمعنى، ولم أكن قد رأيتك على

ذلك الحال. وقد تمنى الأنبياء والأولياء جميعاً اللقاء الذي يشاهدون فيه وجهه. والشخص الذي عجز عن هذا - لأن مائة ولي^(٤٤) لا يبلغون تراب نبي^(٤٥) - أين يصل؟

الشخص الذي يعتقد أن القرآن كلام الله تعالى، والحديث كلام محمد، أي رجاء فيه؟ هذه هي بدايته، فإلى أين تصل نهايته؟ ينبغي أن يعلم ذلك منذ الطفولة. ربما بقي في هذا المضيق، وعالم الحق واسع، بساط لا نهاية له، وعر للغاية بالنسبة إلى البعض، وسهل ميسور بالنسبة إلى البعض الآخر، وقد أصابتهم الحيرة بسبب سهولته. والشخص الذي يتحدث عنه، يعجز عن وصفه.

أسرار القرآن

للقرآن ظهر وبطن إلى سبعة أبطن. يعلم العلماء ظهره، ويعلم الأولياء بطنه، ويعلم الأنبياء بطن بطنه، والباقي لا يعلمه إلا الله تعالى.

(٤٤) الولي: الولي هو العارف بالله وصفاته حسب ما يمكن المواظب على الطاعات، المجتنب عن المعاصي، والمعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات. والولي هو من يتولى الله سبحانه أمره، ولا يكله إلى نفسه لحظة. وهو الذي يتولى عبادة الله تعالى وطاعته. ومن شرط الولي أن يكون محفوظاً، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً. وقيل: نهايات الأولياء بدايات الأنبياء.

محمد علي التهانوي: موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، الجزء الثاني ص-٥، ص ١٨٠٦. عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٢٠٠-٢٠٢. (٤٥) النبي: النبي من أوحى إليه بملك، أو ألهم في قلبه، أو نبه بالرؤيا الصالحة. فالرسول أفضل بالوحي الخاص الذي فوق. وهي النبوة لأن الرسول هو من أوحى إليه جبرائيل خاصة بتنزيل الكتاب من الله. د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص ١٧٢.

هل هو إنسان أم أنه جدير بهذه الدرجة؟

لقد حثت الأحاديث على أن تتدبر القرآن وتتمعنه، كقوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ﴾^(٤٦)، وقوله عليه الصلاة والسلام: لا عين رأت ولا أذن سمعت^(٤٧). وينطوي ذلك على حدس.

إذا لم تكن هناك أسرار في القرآن، لما كان علي رضي الله عنه يقرأ القرآن كل يوم، ولما كان يفقد صوابه. إنه لما سمع كلمة من الأسرار، فقد صوابه، واندلعت تلك الفتنة.

واشوقاه!

هكذا يبدو من كلام أبي يزيد ذلك أنه أفشى أسرار الحق تعالى. ولم يفش الرسول ﷺ أي سر إلا للموعظة.

وقد ذكر الحق تعالى أولئك الصحابة في بعض الأحيان من دون تفسير، مثل: أولو الألباب، لكنه لم يذكر شيئاً قط عن أحوالهم. لقد عروا أنفسهم وفضحوها. وسترهم الحق تعالى وواراهم.

كان المصطفى ﷺ يحترق شوقاً إليهم، فكان يقول: واشوقاه!

(٤٦) ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ﴾: سورة النجم، جزء من الآية ١١.

(٤٧) لا عين رأت ولا أذن سمعت. إشارة إلى الحديث القدسي:

يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ذخراً بله ما أطلعهم عليه، اقرأوا إن شئتم، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون.

المحدث: ابن تيمية. المصدر: النبوات. خلاصة حكم المحدث: صحيح.

الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

إذا كان أبو يزيد يعلم، لما كان يقول: أنا، أبداً. لا جرم أن السنائي^(٤٨) أراد الزنار، وهو أفضل من السيد^(٤٩)، والسيد أفضل من مولانا، وحاله أفضل من حال مولانا، وعلمه أغزر. إنك ترى هؤلاء: عماد وغيره، فافترض أن أولئك السابقين أضعاف أضعافهم.

إنها إرادة الله تعالى

إذا كان ولياً، يتحقق له مائة ألف صفاء وولاية. إنه يشاهد أحدهم في صحراء، ولو يجول في باطنه: يجوز أن يكون هو، من يعلم؟ ينكشف سره في الحال، ويهلك، وتبدد أحواله، ويسقط من فوق السطح، وتنكسر قدمه. والخلاصة أنه يفقد ذلك المعنى، ويزول الإيمان عنه، ويحزن. فلا

(٤٨) السنائي: هو أبو المجد مجدود بن آدم المتخلص بالسنائي والملقب بالغزنوي. ولد في مدينة غزنة وعاش فترة من حياته في بلخ وسرخس وهراة ونيسابور، وسافر إلى مكة، وأمضى الفترة الأخيرة من حياته في غزنة في العزلة والاعتكاف. وتوفي سنة ٥٣٥هـ على أرجح الأقوال. ويُعد رائد فن الغزل الصوفي في الفارسية، وتنسب له سبع مثنويات كذلك ألا وهي: حديقة الحقيقة، سير العباد إلى المعاد، طريق التحقيق، عشق نامه، عقل نامه، غريب نامه، كارنامه بلخ. إضافة إلى ديوان شعر.

انظر: د. إسعاد عبد الهادي قنديل: فنون الشعر الفارسي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٨٨١م، ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٤٩) السيد: المقصود بالسيد: السيد برهان الدين محقق الترمذي م ٦٣٨هـ. مريد بهاء الدين محمد أبي جلال الدين الرومي، وتولى إرشاد جلال الدين الرومي مدة تسع سنوات بعد وفاة أبيه بهاء الدين، وهو الذي حثه على السفر إلى حلب ودمشق ليكمل علومه الشرعية والأدبية، والمداومة على الرياضة والمجاهدة.

انظر: مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، ص ٣٣٤. مولانا شمس الدين التبريزي: هكذا تكلم تبريزي، أحاديث الشيخ والمريد، ترجمة عن الفارسية وتقديم وتعليق د. منال اليميني عبد العزيز، آفاق، الطبعة الأولى ٢٠٢١م، ص ٩، ١٠.

تقل إنها إرادة ذلك الشخص، بل إنها إرادة الله تعالى.

مقام الشيطان

كان يقول: إن الشيطان يبلغ هذا المقام. بلى، لما أدرك الخضر حال كليم الله، كان يقول: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾^(٥٠). فتعجل في السؤال. والعجلة من الشيطان^(٥١). والشيطان لا يبلغ مقام موسى، لأن مائة مثله لا يبلغون تراب كليم الله.

مُعلم الكتاب

إن مولانا لا يتركني أؤدي عملي. وإن لي مريدًا واحدًا في العالم بأسره، فهل أتركه بلا مراد؟ هل أستمع، ولا أكون مراده؟

إنكم لستم أصحابي، فأين أنتم من صحبتي؟ إلا كل من كان يسمع كلمة مني ببركة مولانا. ألم يسمع أحد شيئًا مني قط أو في بعض الأحيان؟ ألم أقل شيئًا لأحد؟ أنت إبراهيم^(٥٢) الذي كان يأتي إلى الكتاب، ويجدني معلمًا؟ لكن كثيرًا ما يلتحق شخص بخدمة شخص

(٥٠) ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾: سورة الكهف، جزء من الآية ٧٢.

(٥١) العجلة من الشيطان: إشارة إلى الحديث: عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: التأني من الله، والعجلة من الشيطان.

موسوعة الأخلاق، الدرر السنية. dorar.net.

(٥٢) إبراهيم: يبدو أن المخاطب هو قطب الدين إبراهيم الذي كان -نسبة إلى قول الأفلاكي- من مريدي بهاء ولد، وكان عارفًا مستنيرًا. ويتضح من العبارة أن بعض أصحاب مولانا وأقارب أبيه -مثل الشيخ إبراهيم- كانت لهم معرفة سابقة بشمس الدين التبريزي، وقد خفي عليهم حاله في النهاية.

انظر: مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، ص ٣٣٤.

مغمور. فأين الالتحاق بخدمة مغمور من الالتحاق بخدمة معروف؟

كلام عامي

ذلك الوقت الذي أتحدث فيه إلى العامة، أنصت إلى ذلك الكلام، لأنه مفعم بالأسرار. وكل من ينصرف عن كلامي العامي ذلك -مع أنه واضح وسهل- لا يفيد مني أو من كلامي، ولا يحظى بنصيب منه أبدًا. وتذاع أكثر الأسرار في ذلك الكلام، وينكشف سر عظيم في أثناء المزاح بسبب الغيرة.

هذا هو العشق

ينبغي عليك المجيء للزيارة من دون أن يرسلوا في طلبك، فهذا هو العشق. من ثم لو أمضي هذه المرة، تأتي أنت. لو أنني أتحدث، فإنني لا أتحدث بصورة قطعية جازمة. لكن يصعب على المحب قول: إذا، لو، ربما، لعل، أظن.

إنه تلميذ فخر الرازي^(٥٣) الذي قال عند الموت على سبيل الإنصاف:

نهاية أقدام العقول عقـال وأكثر سعي العالمين ضلال

(٥٣) فخر الرازي: هو فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن علي الرازي، كان أبوه خطيب الري و Sultan المتكلمين و شيخ المعقول والمنقول. وُلد فخر الدين في الري، وأصله من طبرستان، ورحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان. كان نصيرًا للأشاعرة مناهضًا للفلاسفة والمعتزلة. وله مؤلفات كثيرة، منها: «التفسير الكبير» الذي سماه «مفاتيح الغيب» و«المحصول» في علم الأصول، و«المطالب العلية»، و«تأسيس التقديس» في علم الكلام، و«نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز» في البلاغة، و«الأربعين في أصول الدين»، وكتاب الهندسة. لقّب في هراة بشيخ الإسلام، وتوفي فيها سنة ٦٠٦ هـ. انظر: ar.wikipedia.org.

وأجسامنا في وحشة من جسمنا^(٥٤).

لم يحرموه، وكشفوا له سرًّا في ذلك الحال، فاستوحش من نفسه
ومن رغبته، وقال:

وكم من جبال قد علت شرفاتها

وعال فزالوا والجبال جبال

تفوح رائحة قدم العالم^(٥٥) من هذا الكلام. وربما يريد بهذه الجبال

(٥٤) نهاية إقدام العقول عقال... أبيات من قصيدة شكافها فخر الرازي حيرته وعجزه مع
سبقة في باب المعقول، وقال فيها:

نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسمنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
فكم قد رأينا في رجال ودولة فبادوا جميعًا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فزالوا والجبال جبال

وقد وجد فخر الرازي أقرب الطريق طريقة القرآن بعد أن أدرك أن الطرق الكلامية
والمناهج الفلسفية لا تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا. انظر: عقلانيون يتوبون قبل الموت،
موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، الدرر السنية. dorar.net.

(٥٥) قدم العالم: يقول الغزالي: «اختلف الفلاسفة في قدم العالم، فالذي استقر عليه رأي
جماهيرهم المتقدمين والمتأخرين: القول بقدمه، وأنه لم يزل موجودًا مع الله تعالى، ومعلولًا
له، ومساوقًا له، غير متأخر عنه بالزمان، مساوقه المعلول للعلة، ومساوقه النور للشمس، وأن
تقدم الباري عليه، كتقدم العلة على المعلول، وهو تقدم بالذات والرتبة، لا بالزمان».
وقد فند الغزالي آراء الفلاسفة القائلين بقدم العالم، وربط قدم العالم بإرادة الله القديمة،
فقد أرادت إرادة الله القديمة أن يكون هذا الكون في ذلك الوقت، وليس في وقت آخر،
أي منذ كان الله ولم يكن شيء معه. ثم تعلقت إرادته القديمة بإحداث الكون فأحدثه.
انظر: تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، ص ٧٤.

ar.wikipedia.org

عباد الله، لكن هذا ليس مراده، فهو بمنأى عن هذا، ولا يقدر على هذا.

علوم مولانا

لا يوجد مثيل لمولانا في هذا الزمان في العلوم كلها في الربع المسكون، سواء في الأصول أو الفقه أو النحو أو المنطق. وهو يتفوق على أربابها في المناظرة من حيث قوة المعنى، وشدة الذوق، ويفضلهم أيضًا، إذا اضطر إلى ذلك، أو رغب في ذلك، ولم يمنعه الملل أو السخافة. ولو أنني أجتهد مائة سنة، لا أستطيع تحصيل عُشر علمه وفضله. وقد ظن أنه مغمور. ويتخيل نفسه أمامي في وقت الاستماع -إنني أشعر بالخجل، ولا أستطيع الكلام- أنه طفل يبلغ من العمر ستين أمام أبيه، أو مثل حديث عهد بالإسلام لم يسمع عن الإسلام شيئاً قط.

البيت خال

كنت أشرح ذلك المعنى في السحر. فكان يقول لي: منذ كانت هذه الأذن، لم تسمع مثل هذا الكلام قط، وقد استولى عليها تمامًا على حين غرة.

التحق شيخ بخدمة مولانا، ووجد عنده الحجة برهان الدين ومولانا وأنا. ولا تجتمع الحجج كلها. ليس غرضي هو طلب الكمثرى. إن شخصاً يعرف طبعي كم هو حسن! إن غرضي هو محبته وأن تستكين نفسه.

من ثم اختلط الكلام عن الحنظل والأخضر والأحمر، فما المصلحة اليوم؟ هذه مغالطة. كيف لا أعلم أنه يقول هكذا من أجل طمأنة النفس

والمراقبة؟ أي أمر كان ذلك الأمر؟ مهما أفكر، لا يتضح أبدًا، فاليست خالٍ. ولا يرد على الخاطر أي شيء. أي خدمات أسدوها لي؟ هل كنت أنهض من النوم فأجد ماء الورد منثورًا على الوسادة؟!

التعبير الحسن

إنه صاحبي ما دام صامتًا، وما دام قد تكلم، فلا.

إنهم يعبرون عن الرجل الكبير والصاحب الشريف بالبحر والماء حين تمعن النظر.

والبحر هو ذلك الحال الذي يعتريك، ويرى آخر أن البحر هو الهوى الغلاب. والله تعالى غالب عليك. والجبل هو الرجل الكبير أيضًا. وإنني أحسن التعبير في حقك.

ملح القدور

علم يوسف الصديق تأويل الأحاديث. ولا يعني هذا إلا أن كل شيء كان يقوله، حتى إن كان تعبيره غير صحيح، كان الله تعالى يجعله صوابًا. وكان محمد ﷺ يعلم التأويل أيضًا. وكان عيسى يقول: ﴿وَأُزِيئُ الْأَكْمَهُ وَالْأَبْرَصَ﴾^(٥٦) يضع محمد ﷺ الملح على القدور كلها في البداية، كما يضعه في النهاية أيضًا. لذا يلزم خاتم النبيين مقدارًا من الملح. لكن لما يكون الملح مصريًا، اتركه.

إنني أقول لك: لا تسأله، وسوف أحدثك في وقت آخر. فأنا أتحدث

(٥٦) ﴿وَأُزِيئُ الْأَكْمَهُ وَالْأَبْرَصَ﴾: سورة آل عمران، جزء من الآية ٤٩.

بكلام أفضل وألطف. ويكون الكلام غثاً من دون ذلك السهو، لكنه يعبر
عن ذلك الحال:

أبلى الهوى أسفاً يوم النوى بدني^(٥٧)

تعفف عن الحلال

من يخشع لله ويطيعه يجب أن يزداد خشوعه ذلك وطاعته تلك لما
يصحبني. من ثم إذا كنت تتعفف عن الحرام والمعاصي، ينبغي عليك أن
تتعفف عن الحلال أيضاً.

ثمن اللحاف

إنهم لا يحسنون التصرف. فقد بيع اللحاف. إنهم يفعلون هكذا
ليحبطوني، وهم يريدون استفزازي بهذه الطريقة. وإن ثمنه غير معقول،
إذا كانوا يتحدثون عن ثمن آخر، كان يجوز أن يصدقه غيري.

ينتابني سرور لا من ذلك العالم، ولا من هذا العالم، إنه سرور بوجودك.
قال: إنه ذلك العالم بعينه. لكن ذلك العالم يخجل من هؤلاء، ومن ذلك
الشخص الذي لا يخجل في ذلك العالم، فيأتي إلى هذا العالم، ويسطع نور
الله عليه في الجهات الست كلها، ولا يخفى أنه لم يحظ بنور.

(٥٧) أبلى الهوى أسفاً يوم النوى بدني: مصراع من أبيات للمتنبي م ٣٥٤هـ قال فيها:

أبلى الهوى أسفاً يوم النوى بدني وفرق الهجر بين الجفن والوسن
روح تردد في مثل الخللا إذا أطارت الريح عنه الثوب لم يين
كفى بجسمي نحولاً أني رجلٌ لولا مخاطبتي إياك لم ترني

إنني لا أطمع في رغبة دنيوية من أحد، سوى الرغبة في اتباع الرسول ﷺ الذي قبل الهدية.

الذهب والبعير

لو أن لك مائة ألف درهم، وهذه القلعة المملوءة بالذهب، فلتنثرها عليّ. إنني أنظر إلى جبهتك هذه، إذا لم أرَ فيها نورًا، وإذا لم أشعر بحاجة في صدرك، يستوي لديّ ذلك المال والذهب وتل من البعير.

حبة الجاوس

يكفيني -إذا طمعت- أن تتذكروا هذا، وأن تقرأوا ورقكم، وتطالعوا شيئًا من ورق المحبوب. ينفعكم هذا. وقد وقعت هذه المحن كلها، لأنكم تقرأون ورقكم، ولا تقرأون ورق المحبوب مطلقًا.

ينشأ ذلك الخيال عن العلم والمعرفة، وبعد ذلك الخيال علم آخر ومعرفة أخرى، ولذلك العلم وتلك المعرفة خيال آخر أيضًا، والأمر يطول. هناك طريق آخر أكثر قربًا، لم يبقَ منه شيء. وقد شوها سمعة هذا الطريق أيضًا، ويلزمه اسم آخر.

ولقد وضع قانونًا حسنًا فحواه: أن يحترق يومًا، وألا يحترق يومًا. ذلك القانون حسن؛ إنه لم يطلب دينارًا قط، ولم ينشغل خاطره بدينار، ولم يبال به.

لكنهم يتحسرون عليّ الآن مائة مرة، وليتها كانت ألفًا، حتى كنت أفتديهم.

وا حسرتاه، لو تكون لشخص مخازن ومنازل مملوءة بالجاورس،
وتسقط حبة من ذلك الجاورس. بماذا يشعر قلبه عند الإنفاق؟

وعلى هذا النحو قيل مائة مرة: وا أسفاه على أمير مهيب كان على
قيد الحياة، وكان يؤثر شيئاً عظيماً مثل قرية، وكان يتمنى أن أطلبها منه.

المشاهدة والالتزام

قال بديع الدين أمس أو أول أمس: إن مشاهدة^(٥٨) الله تعالى تتحقق
عن طريق الالتزام.

قال مولانا: إنني كنت أحب بديع الدين، وقد رأيته الآن، وقد تضرع
إلى الله تعالى الذي آمنت به.

كشف الحجب

تخيل أنها القيامة، وأن الغيب قد انكشف. والله، إن الغيب ظاهر،
وإن الحجب قد رُفعت. لكن أمام ذلك الشخص المفتوح العينين.

التعظيم

قوله: إن الجامكية حرام عليّ بعد ذلك، وسوف أنثرها في خدمته.
قلت: أنت المرشد، وكان لي غرض من ذلك القول.
إنك لم تعترض على كلامي، ولو أن غرضك هو التعظيم. وليس

(٥٨) **المشاهدة**: المشاهدة هي: «رؤية الحق ببصر القلب من غير شبهة كأنه رآه بالعين». والمشاهدة ثلاثة؛ مشاهدة بالحق: وهي رؤية الأشياء بدلائل التوحيد، ومشاهدة للحق: وهي رؤية الحق في الأشياء، ومشاهدة الحق: وهي حقيقة اليقين بلا ارتياب.
د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص ١٦٣.

التعظيم هو ألا تخالف أمري، بل أن توافق عليه لأنني قلته.

كنت قد سمعتَ حكاية إياز والقدر، ونسيتها في ذلك الوقت.

إنه كان يأتي معي إلى هنا، وأنا عارٍ فيلبسني رداء على أي نحو كان.

منزلة محمد ﷺ

قال عماد: إن ما قاله غير صحيح نحوياً. يضل سيبويه^(٥٩) في ذلك

الكلام. لا، إنني لا أتحدث هكذا، بل أقول: إن هذا الحال يتساوى مع

حال اتباع محمد ﷺ.

من ثم هناك اختلاف في الألفاظ. اللهم اجعلني من أمة أحمد^(٦٠). من ثم

(٥٩) سيبويه: هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي، ثم البصري. تعلم الفقه والحديث والعربية وألف فيها كتابه الكبير، وأخذ النحو عن عيسى بن عمر، ويونس بن حبيب، والخليل، وأبي الخطاب الأخفش الكبير. وقال العيشي عنه: إنه كان شاباً جميلاً نظيفاً، له نصيب من كل علم وأدب. وقيل سُمِّي سيبويه، لأن وجنتيه كانتا كالتفاحتين. وتوفي سنة ١٨٠ هـ أو ١٨٨ هـ. انظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه شعيب الأرناؤوط، حقق هذا الجزء محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، الجزء الثامن، ص ٣٥١، ٣٥٢.

(٦٠) اللهم اجعلني من أمة أحمد: إشارة إلى حديث رواه ابن أبي حاتم كما في تفسيره، قال: حدثنا الحسين بن السكن البصري ببغداد، ثنا أبو زيد سعيد بن أوس النحوي، ثنا قيس ابن الربيع، عن ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال موسى: يا رب، أجد أمة يعطون صدقة أموالهم ثم ترجع فيهم فيأكلونها بعد، قال: تلك أمة تكون بعدك أمة أحمد، قال: يا رب اجعلني من أمة أحمد. وهذا الإسناد فيه ضعف.

الإسلام سؤال وجواب، المشرف العام الشيخ محمد صالح المنجد، تاريخ النشر

١٧ / ١٠ / ٢٠١٧ م. isLamqa.info

إنه يريد منزلته، يعني أنه يريد المشاهدة، وعبر عنها بلفظ آخر في الكلام.
 لم يبقَ أي سر عن جهنم. وهذا هو أقل دليل، وهذا التفاوت نسبي.
 فاحفظ هذا الأصل، حتى لا تعترضك أي مشكلة. وتلك الصفة عالية
 تنسب إلى السقف لا إلى الأرض.

كلام مولانا

لقد قلتُ صراحةً أمامهم: إن كلامي لا تدركه أفهامهم. تحدث أنت،
 فلم يأذن لي الحق تعالى أن أتحدث عن مثل هذه الصغائر، إنني أتحدث
 عن ذلك الأصل، فيصعب كلامي عليهم للغاية. ثم أتحدث عن أصل
 آخر نظير ذلك الأصل، فيلتبس الأمر عليهم إلى آخره. وينقض كل كلام
 الكلام الآخر. ما دمت قد اجتهدتُ معه، فمن يواجهه عياناً؟ ولما تحدث
 مولانا، أذعنوا، وطلبوا المعذرة، وتواضعوا. ومضى هو.

الفقر

إنهم يقولون في معنى: «إذا تم الفقر فهو الله»^(٦١) ألف قول. يعني
 لما تم الفقر، تجلّى الله حيثئذ. فتجده، وتراه ولا يصير الفقر الله، يعني
 «إذا تم الفقر تجد الله»، وإلا يكون ذلك القول كفرًا.

(٦١) سئل شاه نقشبند عن قول البعض: إذا تم الفقر فهو الله، فقال: هذه إشارة إلى الفناء، وأنشد
 يقول:

من كان لم تكن لم يك إلا الله
 وإذا فئت من بقي لم يبق إلا الله

موسوعة الفرق، الدرر السنية، المطلب الأول: الطريقة النقشبندية على ثلاث طرق. do-

.rar.net

قال: يجوز ألا يكون معناه ذلك. قال: من ثم ما الفرق بينك والمجوسي؟ وعلى كل حال، كان عيسى عليه السلام ألطف من منصور هذا ومن أبي يزيد وغيرهما. فلماذا تعجب من النصراني، لأنه يقول: عيسى هو الله، ما دمت أنت تقول كذلك؟!

نص عربي

بل معناه: إذا تم الفقر تجد الله، يعني كل من ماتت نفسه، ومات شيطانه، وطهر عن الأخلاق الذميمة، وصل إلى الله. حاشا لله، بل قد وصل إلى طريق الله، إذا كان يعرف أنه ما وصل إلى الله، فقد وصل إلى طريق الله، وإلا فهو ضال عن طريق الله. والنفس بعد حية، والشيطان حي.

وإذا لم يفرق بين نور طريق الله، وبين نور الله، فهو في ظلمة وعمى. إن لله تعالى سبعمائة حجاب من نور، أو سبعمائة ألف حجاب من نور، لو كشف حجاب منها، أحرقت الدنيا بما فيها.

فتلك الحجب يتجاوز قليلاً قليلاً حتى يصل إلى نور الذات، إلى نور ينشأ من الذات، الوجود على الوجود الخلقي الجبلي يتوضأ عليه نور على نور، لا الذي يتوضأ مرتين.

من الداعي؟

ذلك الذي قال: إنني لم أدعُه، رد عليه عز الدين، وكذبه، حين قال: بلى، إنني دعوته.

ولما سمعت إشارة من مولانا، ظننت أن هذه هي إشارة مولانا. ومن

ثم يتحدث مولانا على هذا النحو الذي لم أعهده حتى الآن. وقد استعنت بك، لتدفع عني القاضي وأمير داد أيضًا. إنه قد قال: إذا لم يطعني، ولم يأت، أفعل كذا، وإن له مهابة.

ومثال ذلك: غلام يقول للسلطان: إن لك سلطة، فالتحق بخدمتي، حتى أرى ذلك.

الصبر الجميل

إننا لم نأت بهذه النفس من آق سرا^(٦٢) ومن رباط قوافل قيماز^(٦٣) - حتى تنظر إلينا هذه النظرة - ومن حلب ومن إقليم إلى آخر. وأنا رجل هرم في هذا الجو البارد، إذا لم يكن الأمر حقيقياً يقيناً. ولو أنهم لا يكفون عن هذا الكلام - ما أطيّب صبرك خمس عشرة سنة - عديم الجدوى، ويرغون ويزبدون.

إنه لم يتحدث على سبيل السؤال، لكنه كان سؤالاً في الحقيقة - يعني ماذا كان؟ - فأجبت. ولتدركوا جيداً أن جواب سؤال مولانا يجب أن يليق به. ما دام العبد الذي هو مراده موصوفاً بصفاته كلها، من ثم إن قهره بلا نهاية، وكذلك صبره، من ثم إنك حين تقارن صبراً آخر بصبره، يبدو

(٦٢) آق سراي: مدينة آق سراي، وهي مركز محافظة آق سراي الواقعة وسط تركيا، وتقع على بعد ٦٠ ميلاً من مدينة قونية. ويبلغ عدد سكانها نحو مائتين وثلاثة وثمانين مليوناً، خمسهم من الأرمن. انظر: شمس الدين محمد بن ملك داد تبريزي: مقالات شمس تبريزي، بتصحيح وتحشية ومقدمة أحمد خوشنويس عماد، ص ١٢٩. ar.wikipedia.org.

(٦٣) قيماز: قيماز مكان بين قونية والقيصرية، كانت القوافل تنزل فيه.

انظر: السابق، الصفحة نفسها.

صبره طويلاً. فلتقارن بين صبره وصبر الله، وسوف تجد أن خمس عشرة سنة قليلة، سواء أكانت خمس عشرة سنة أو ألف سنة، فهي قليلة.

الأريج الحق

إن للحق تعالى أريجاً محسوساً، تستنشقه المشام مثل رائحة المسك والعنبر. لكن كيف يشبه المسك والعنبر؟ وما دام التجلي^(٦٤) سوف يتحقق، يسبقه ذلك الأريج، فيشمل المرء. وهكذا لم يتم ذلك الكلام.

من عرف نفسه

يقول محمد ﷺ: إنك لم تعرف عيسى أيها النصراني، فاعرفني أنا، ربما عرفته أكثر وعرفتني.

من ثم من يُعرّف محمداً وهو خاتم النبيين؟ قالوا: وماذا نفعل؟ فحجل أن يقول: من عرف نفسي فقد عرف ربي، وقال: من عرف نفسه^(٦٥).

(٦٤) التجلي: إشراق أنوار إقبال الحق على قلوب المقبلين عليه. قال سهل: التجلي على ثلاثة أحوال: تجلي الذات وهي المكاشفة، وتجلي صفات الذات، وهي المكاشفة، وتجلي صفات الذات، وهي موضع النور، وتجلي حكم الذات، وهي الآخرة وما فيها. معنى قوله تجلي الذات وهي المكاشفة، كشوف القلب في الدنيا كقول عبد الله بن عمر: كنا نترأى في ذلك المكان؛ يعني في الطواف. وقال النبي ﷺ: اعبد الله كأنك تراه. وكشوف العيان في الآخرة. ومعنى قوله تجلي صفات الذات وهي موضع النور، هو أن تتجلى له قدرته عليه، فلا يخاف غيره، وكفايته له فلا يرجو سواه. وتجلي حكم الذات يكون في الآخرة. د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص ٥٦، ٥٧.

(٦٥) من عرف نفسه: قال ابن القيم الجوزية: «من عرف نفسه عرف ربه» كلام مشهور، وليس حديثاً عن الرسول ﷺ، إنما هو أثر إسرائيلي، وورد على هذا النحو: «يا إنسان، اعرف

وقد فسرهما كل شخص عن جهل.

وكان العقلاء يقولون في أنفسهم: إننا نعرف هذه النفس بأنها خبيثة شريرة لئيمة، فكيف تتحقق معرفة الله من خلال معرفتنا للنفس هذه؟ وقد علم أصحاب السر مغزى قوله.

أي طعام وأي نوم؟

قلتُ لا حاجة لي للطعام أو النوم؛ ما دام ذلك الإله الذي خلقتني على هذا النحو، لا يتحدث إليَّ من دون أي واسطة، وأنا لا أسأله شيئاً، وهو لا يتحدث. فأني نوم أو طعام لي؟

لقد جئتُ من أجل العيش في هذه الدنيا العمياء. كيف يصير الأمر هكذا وأنا أُحدِّثه وأستمع إليه عياناً ومشافهة؟ هل آكل وأنام في ذلك الوقت؟ هل أعلم كيف جئتُ وإلى أين أمضي؟ وما خلاصي؟ وما عاقبتني؟ وأعيش مستريحاً!

نفسك تعرف ربك»، وفيه ثلاثة تأويلات: التأويل الأول: أن من عرف نفسه بالضعف والعجز، عرف ربه بالقوة والقدرة، ومن عرفها بالذل والجهل، عرف ربه بالعز والعلم. والتأويل الثاني: أن من نظر إلى صفات نفسه مثل القدرة والإرادة والكلام والمشية والحياة، عرف أن من وهبه ذلك أولى به. والتأويل الثالث: أن هذا من باب النفي، فبما أنك لا تعرف نفسك ولا حقيقتها ولا ماهيتها ولا كيفيتها، فكيف تعرف ربك؟ انظر: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، الجزء الأول، ص ٤٦٠-٤٦١.

الأصول (٦٦)

لقد اهتممتُ بالأصول منذ الصغر، مثل أم لها ابن واحد في العالم، وذلك الابن حسن ووسيم، يحرق يده بالنار، فتنهض تلك الأم، لتنقذه بأي طريقة. وقد جذبني أريج الحق تعالى.

كما قال القاضي شمس: ربما تأتي عجوز تزين الجمال اليوسفي المزين للعالم، فتندesh. وما دام ذلك العلم يصير غثاً، فإن هذا العلم لا يصير ثميناً. فالحرارة تقابلها البرودة، والبرودة تقابلها الحرارة. ولا يليق هذا الخطاب بمولانا. إنه ليس من هذا القبيل. ﴿وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَنَ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ﴾ (٦٧). وجدنا هذا التعبير في القرآن.

كل شيء في المنام يفسر على أنه سيئ في حق الآخرين، يكون خيراً كله في حق سالك الطريق.

المريد والمراد

المريد اسم من أسماء الله تعالى. ولهذا المريد مراد. والطالب اسم من أسماء المريد، ويكون له مطلوب. قال: هذا كلام عام. قال: إنني قلت

(٦٦) الأصول: المقصود أصول الفقه: وهو العلم بالأحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية بالاستدلال. وقيل: معرفة النفس ما لها وما عليها. انظر: محمد علي السوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق وتعليق أبي حفص سامي بن العربي الأثري، قدم له الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الشيخ سعد بن ناصر الشثري، دار الفضلية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ٥٨.

(٦٧) ﴿وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَنَ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ﴾: سورة النور، جزء من الآية ٤٣.

الطالب^(٦٨) أولاً، والطالب ليست كلمة عامة.

لو يسطع شعاع من الطلب^(٦٩) على خلق العالم، لا يطيقونه، ويحترقون، ويضطربون.

وموسى طالب من هؤلاء الطالبين، وقد أثر طلبه في الجبل، فتصدع. من ثم كيف يكون المطلوب عامًّا؟ ليس هناك أي مجال إذن للاعتراض على هذا الكلام، لأن معناه لطيف.

لو يطرّدونا من مدينتنا فإن لنا صحراء خارج المدينة بتوفيق الله، ما إن أنتهي ويعلو الضجيج، حتى تهب رياح المخالفة في هذه الناحية وتلك الناحية، فأقرأ شيئاً، وألقيه على مسامعهم. والأفضل لك أن تنصت.

المكاري وحماره

يتكى شخص إلى مسند، فيدفى ظهره، ولا يبالي بشيء. قلت: إذا كان الشيخ إبراهيم أو فخر موجودين، لكانا يلتحقان بخدمتي، ولكانا يطيعان أمري، ويقولان: لقد أصابنا العجز، وفقدنا الصواب.

(٦٨) الطالب: الطالب في اصطلاح السالكين هو الذي جاوز الشهوات الطبيعية واللذات النفسية، وقد أزال حجاب الوهم عن وجه الحقيقة، وسار من الكثرة إلى الوحدة لكي يصير إنساناً كاملاً. ويُقال لهذا المقام: الفناء في الله الذي هو غاية سير السائرين. محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، الجزء الثاني ص-١١٣٨.

(٦٩) الطلب: «الطلب في اصطلاح السالكين هو أن يكون الليل والنهار في باله سواء في الخلوة أو في الملاء، سواء في البيت أو في السوق، فلو أُعطي الدنيا ونعيمها والآخرة وجنتها ما كان ليقبل، بل إنه ليقبل البلاء والمحنة في الدنيا». والطالب يطلب مولاه، ويتوكل على الله، ويستحيي أن يطلب من الله شيئاً، ولا يسأل الناس، ويستوي لديه البلاء والمحنة والعطاء والمنع والرد أو قبول الناس. انظر: السابق، الصفحة نفسها.

من ثم كنت أقول سرًا مخفيًا، فتقدموا منزلًا، حتى أقتفي آثاركم. فكانوا يقرأون الكتابة، يعني أنك لا تطمئن إلينا. وكنت أقول في نفسي: إنكم تتنازعون معًا في كل لحظة. النفوس ضعيفة، وهي تسعى في الطريق. وقالوا: افعل هذا، ولا تفعل ذلك، فيصعب عليك. ويجوز أن ذلك الشيء يبقى مع هذا وذاك، ويكون على قدر الحاجة. ونفقده أنتم أيضًا.

لكنني كنت أقول: إنني سوف أقتفي أثركم. ماذا يعرف المكارى العجمي عني؟ وأنا أحكم عليه بأنه لا يُبالي. ربما استأجرته من أجل هذا العمل الذي يعرفه هو وحمارة.

داء العين

نزلتُ، وآويتُ إلى زاوية. قالوا: يجوز أننا نتقدم منزلًا، وتتخلف أنت عشرة منازل في ذلك الوقت بسبب ألم العين. قلتُ: لم يكن هذا بسببي، بل كان غيبًا. اذهبوا أنتم. إذا كانت رسالة مولانا لي فحسب، لكانت كافية. وكنت أجيء في المقدمة.

قال: من ثم يقول مولانا لي: أيها الحمار الأحمق، أيها الأبله عديم العقل، لقد أرسلتك لكي تحضر شخصًا هكذا، وذهبتَ، ووجدته، وأصيب بألم العين، فكان ينبغي عليك البقاء هناك، وخدمته، حتى يشفى.

كمين النفس

علمتُ أن مولانا يقدم لهم الحجج كلها، ويعلمهم التواضع، وربما لقنهم تلك الأقوال والحيل. وليس لهم سعي أو اجتهاد في ذلك الأمر.

على سبيل المثال نقول كلامًا بليغًا؛ لا يفهمه العوام، فكيف يفهمه هو؟ وهو لا يدرك حال ابنه الصغير!

ما أجمل صفة ألا يعادي أحدًا! وأن يجعل هذا، ذاك يتقدم، بمشورة هذا. ويتقدم ذاك على هذا. يبرز في تلك الصفة تارة، ويعتقد لسانه عنها تارة أخرى. لذلك تقول: إنه لا يجيب عن سؤالي بسبب الجهل، والجهل متبوء. فماذا يكون ذلك؟ إنه كمين النفس.

قال العطار: لو تراض مائة سنة من دون انقطاع. إنه لا يريد بهذه الرياضة الصوم والخلوة. فتقدم، وتأملها. إنه يريد ألا تجعل تلك العقد مانعًا لك، وما دامت قد صارت مانعًا، وسببًا للفراق، فإنها سوف تكون كذلك يومًا ما.

الخبر والمعاينة

«ليس الخبر كالمعاينة»^(٧٠). تلك المعاينة معاينتكم. قال لهم: ليس هناك غرض من المعاملة، ما دام لا يعود إليك، لكن السفر هذه المرة محفوف بخطر الهلاك، لأن أكثر الحجب تنكشف هذه المرة.

(٧٠) ليس الخبر كالمعاينة: إشارة إلى الحديث القدسي: ليس الخبر كالمعاينة، إن الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل، فلم يلقِ الألواح، فلما عاين ما صنعوا، ألقى الألواح، فانكسرت.

الراوي: عبد الله بن عباس.

المحدث: الألباني.

المصدر: صحيح الجامع.

خلاصة حكم المحدث: صحيح.

الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

إذا خيروك أن تمنح المائة دينار التي تملكها، أو أن تذهب معي إلى القاضي، يطيب لك أن تمنحني المائة دينار تلك. لكنها تلزمني، وهذا هو المراد. تقول: لا، لا ينبغي أن يقول ذلك.

إن لنا مطلوبًا، وكان هدفنا من المجيء هو المساعدة على إدراك ذلك المطلوب الذي هو فلان. والأمر لا يقبل أي تأويل.

تراب تبريز وتراب خراسان

إنه يقول: ابن فلان اتبع ابن تبريزي^(٧١)، أئذ تراب تبريز^(٧٢) تراب خراسان^(٧٣)؟ إنه يدعي التصوف والصفاء، ولا يحظى بقدر من الحكمة، لأن التراب لا قيمة له. إن كان ذلك لرجل من إسطنبول. فإن مكة من هذا العالم، والإيمان ليس من هذا العالم. ومع ذلك يجب على المكي اتباع ذلك الشيء الذي يكون من الإيمان. **وحب الوطن من الإيمان**^(٧٤).

(٧١) اتبع ابن فلان ابن تبريزي: المقصود اتبع جلال الدين الرومي، شمس الدين التبريزي. ويبدو أن تلاميذ جلال الدين أنكروا عليه اتباعه لدرويش تبريزي مدعٍ للتصوف -في رأيهم- ولا يتسم بالحكمة.

(٧٢) تبريز: تبريز: ثالث أكبر مدن إيران بعد طهران ومشهد، وتقع في غرب محافظة آذربيجان الشرقية. وتشكل أحد أقطاب الاقتصاد الإيراني، وتشتهر بأعمالها الإدارية والتجارية والصناعية وقطاع الاتصالات، ومن أبرز صناعاتها الأسمنت والبتروكيماويات وتجميع السيارات والآلات. ar.wikipedia.org.

(٧٣) خراسان: خراسان الكبرى: إقليم قديم يشمل إيران وأفغانستان وبعض مناطق آسيا الوسطى. ar.wikipedia.org.

(٧٤) حب الوطن من الإيمان.

المحدث: الألباني. المصدر: السلسلة الضعيفة. خلاصة حكم المحدث: موضوع.

الموسوعة الحديثية، الدرر السنية، dorar.net.

كيف تكون مكة -وهي من هذا العالم- مراد الرسول ﷺ؟ والإيمان ليس من هذا العالم! من ثم ما يكون من الإيمان، يجب ألا يكون من هذا العالم، بل يكون من ذلك العالم.

الإسلام بدا غريباً^(٧٥). وما دام الإسلام غريباً ومن عالم آخر، فكيف يريد مكة؟ وما يقولونه: إنه ربما أراد مكة، لأن لها مكانة.

مراتب السكر

السكر^(٧٦) أربع مراتب: المرتبة الأولى: سكر الهوى، والخلاص منه صعب للغاية. ويجب على السالك أن يسرع السير حتى يتجاوز سكر الهوى هذا.

والمرتبة الثانية: سكر عالم الروح. إن السالك لم يدرك الروح بعد، لكنه سكر عظيم إلى حد أن المشايخ يستغرقون فيه، والأنبياء أيضاً، بسبب شدته، ولا يستشهد أحدهم أبداً بآية أو حديث لما يستهل الكلام،

(٧٥) الإسلام بدا غريباً. إشارة إلى الحديث: إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء.

الراوي: أبو هريرة. المحدث: مسلم. المصدر: صحيح مسلم.

خلاصة حكم المحدث: صحيح. الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

(٧٦) الشُّكْر: الشُّكْر غيبة بوارد قوي، والسكر زيادة على الغيبة من وجه، وذلك أن صاحب السكر قد يكون مبسوطاً، إذا لم يكن مستوفياً في سكره، وقد يسقط إخطار الأشياء عن قلبه في حال سكره... والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجد، فإذا كوشف العبد بنعت الجمال، حصل السكر، وطابت الروح، وهام القلب. والصحو رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة.

عبد الكريم بن هوازن القشيري: الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص ٦٤.

بل إنه يخجل من الكلام إلا من أجل التفهيم. وتجاوز المرتبة الثانية صعب وعسير للغاية. ولو أنهم يرسلون عبد الحق العزيز الفريد، ليدرك حقيقة الروح، ويهتدي إلى الطريق إلى الله تعالى.

والمرتبة الثالثة: سكر طريق الله، وهو سكر عظيم، لكنه يقترن بالسكون، لأن الشيء الذي كان يفكر فيه، يشغله الله عنه.

بعد ذلك المرتبة الرابعة، ألا وهي: السكر في الله، وهذا هو الكمال، ويليه الصحو.

سكر الهوى

أما عن شرح الهوى، فاعلم أننا لا نريد بهذا الهوى الثروة والمرأة ومتاع الدنيا. لكنه لا يستطيع الانشغال بالدنيا، ويخشى أن يتلاشى سكر الهوى. ويتتاب سكر الهوى أغلب الرهبان، فيتحدثون عن هذه المضمرات.

كان عماد وأمثاله يبلغون الكمال في سكر الهوى، ويدركون سكر الروح، ويهتدون إلى الطريق. وكان أوحد^(٧٧) أقرب إلى بلوغ الكمال في سكر الهوى.

بلغ سحرة فرعون الكمال في الهوى، ولا جرم أنهم أدركوا الروح.

(٧٧) أوحد: المقصود الشيخ أوحدی الكرمانی، وهو من العارفين الكبار، والتقى بشمس الدين في بغداد.

انظر: شمس الدين محمد بن ملك داد تبریزی، مقالات شمس تبریزی، بتصحيح وتحشية ومقدمة احمد خوشنويس عماد، ص ١٣٣.

ولم يبلغ فرعون الكمال، وكان منطقيًا وعاصيًا. لكن كان له علم بالسحر لم يحظَ به السحرة أنفسهم.

أدرك السيد أريج الروح وسكرها أكثر من مولانا، وكان له علم وفير، ولم ينشغل بشيء قط.

وللشيخ أبي بكر^(٧٨) سكر في الله، لكن ليس بعده صحو. لهذا السبب علم هذا العبد أن سعادته كانت معلومة، لكنها لم تكن يقينية. فأرسلوا له عبدًا من الخاصة، حتى يجعله على يقين من أمر سعادته، ويريه بيد اللطف. ورويدًا رويدًا كيف يقول عن الله تعالى ما لا يليق؟ وكيف يغضب الله تعالى؟ إنه يؤذي نفسه! كيف يخرج هذا الكلام من أفواههم؟ ألا يعلمه الله تعالى؟

يقول السنائي: أيها العارفون، إنكم ابتلاء من الله.

مقام المصطفى ﷺ

«لا يسعني فيه ملك مقرب»^(٧٩). هي روحه الطاهرة «والنبي المرسل» هو جسمه المطهر. ما دام لا يسعه هذا، فماذا يكون وراء هذا؟ لا يفسر هذا سوى ابن التبريزي هذا. وليس هذا مقام المصطفى أو حاله، بل إنها

(٧٨) الشيخ أبو بكر: ربما المقصود هو الشيخ أبو بكر السلال التبريزي، وكان شمس الدين التبريزي مريدًا له.

انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(٧٩) لا يسعني فيه ملك مقرب: إشارة إلى حديث لا أصل له فحواه: لي وقت مع الله لا يسعني فيه ملك مقرب، ولا نبي مرسل.

أحاديث منتشرة لا تصح، الدرر السنية. dorar.net.

دعوة. إنه يحصي العديد من الأعداد هنا. «لي مع الله وقت» كيف يكون هذا الحال؟ إنني أقول: إن هذا ليس حاله.

الطالب الصادق

ذلك الشخص الذي هو طالب، ويدعي الطلب، يجتنب الهوى، ويدرك الروح. إن بعضهم صادق، والبعض الآخر مدعٍ. انظروا إذا كان ميله إلى أمور الدنيا أكثر فهو كاذب ومدعٍ.

مع أن هذا الكلام لاذع، لكنه بارد وسمح بالنسبة إلى الحرارة التي تنبعث بداخلي، وأريد أن أظهرها. من ثم أظن أنا وأنتم أنها القيامة. وهذا هو حال الدرويش وحال عبد الله، والحالان يتساويان عنده في هذه الساعة في يوم القيامة.

صفة القيامة

ذات يوم كان أبو يزيد التقوي يقول فوق المنبر: إنني أريد ذلك المجلس الذي تتبادل فيه الحديث، إنني لا أتحدث إلى ذلك المنبر الخشبي. فنهضت امرأة في الحال، وكشفت عن وجهها أمامه. فقال: اجلسي أيتها العورة. قالت: أيها الشيخ، أيها المدعي، أرايت أن هذا ليس حالك؟ مع أن الكلام حق، لكن ما صلتك بهذا الكلام؟ ما دام الكلام ليس كلامك، وما دامت المعاملة ليست معاملتك. إن صفة القيامة هي: أنه لا يمكن التفرقة فيها بين الرجل والمرأة بسبب الهيئة والهول. فاضطرب الجميع، وسكت أبو يزيد.

كلام بلا حروف

لقد جئتُ إلى هذا العالم من أجل المشاهدة. وكل كلام كنت أسمعه من دون السين والحاء والنون، وكلام من دون الكاف واللام والألف والميم. وعلى هذا النحو كنت أسمع الكلام، وكنت أقول: أيها الكلام عديم الحروف، لو أنك كلام، فما هذا؟ قال: إنها العوبة بالنسبة إليّ. فقلتُ: هل أرسلتني من أجل اللعب؟ قال: لا، إنك أردت أن يكون لك بيت من الماء والطين. وأنا لا أعلم ولا أرى. من ثم كنتُ أسمع الكلام كله، وأتمعن في مرتبة كل قول.

الفقيه

قال عليه الصلاة والسلام: لفقيه واحد يمر بسكة، لا يدخلها الشيطان أربعين يومًا^(٨٠). لم يقل لعالم، إنما قال: لفقيه.

ولادة الكلام

﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾^(٨١). ليس ذلك الولد هو ولد النكاح. لكن الولادة أنواع: يقولون مثلاً: وُلِدَ هذا الكلام منه، ولا يقصدون الولادة.

(٨٠) قال عليه الصلاة والسلام: لفقيه واحد يمر بسكة، لا يدخلها الشيطان أربعين يومًا. إشارة إلى حديث موضوع ورد على هذا النحو: فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد.

المحدث: ابن حيان. المصدر: تهذيب التهذيب. خلاصة حكم المحدث: موضوع.

الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

(٨١) ﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾. سورة الزخرف، جزء من الآية ٨١.

القرين

لا ضرر عليّ من زيارة الأمير، ولا ضرر عليه أيضاً. وزيارة الأمراء وصحبته مفيدة للمشايخ. ولو أن لله عبداً يعبرون البحر، لا أقول الجدول أو النهر، ولا تبتل أطرافهم. لكن ليس هؤلاء هم الذين تبتل أطرافهم فحسب، بل يغرقون، ويستاء الأمراء من رؤيتهم، لأن صلاحيتهم ولياقتهم تتوارى بسبب صحبتهم للصمصام الدين.

من ثم ما دام لنا ميل، فهو الميل إلى القرين. مثلما يقولون: لكل شخص قرين من الملائكة أو الجن يُولد معه. وهو محب وألوف للغاية، يطرح شيئاً بسبب شدة الغيرة، ويحرض على شيء. يتعد عنا ذلك الشخص، لأن هذا الشخص تلزمه الصحبة، ويطلب الرضا. إنه يقول: الأمر لك، لكن يتضح من إذعانه أنه ليس راضياً. ويتوقف لهذا السبب.

شرح آخر، كل شخص جاء إلى العالم وقد رافقه شيء. البعض رافقه الهوى، والبعض الآخر رافقه العشق، والعشق قديم كما قال القائل.

الأرواح جنود مجنّدة

اختلف الحكماء في أمر الروح، فقال البعض: إنها قديمة، وقال البعض الآخر: إنها حادثة. يعني أنها لم تكن موجودة في البداية، ثم وُجدت. لكن الأرواح خلقت منذ زمن طويل. الأرواح جنود مجنّدة^(٨٢).

(٨٢) الأرواح جنود مجنّدة: إشارة إلى الحديث: الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف. الراوي: أبو هريرة. المحدث: ابن حبان. المصدر: المجروحين. خلاصة حكم المحدث: فيه علي بن سعيد كثير الخطأ. أخرجه: مسلم.

الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

ومجموعة الأرواح هذه أنواع: أرواح أهل الخرابات^(٨٣)، وأرواح المفسدين. لكنني أتحدث عن تلك المجموعة التي تبقى الروح فيها. وعلم الله محيط بها جميعاً، لكن الله تعالى مع هذه المجموعة: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾^(٨٤). وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَكُمْ﴾^(٨٥). ولو أن أرواح التتار في أول الفطرة كانت ضمن تلك المجموعة، لكانت تسكن إلينا، وكانت تأنس بنا وبعماد كذلك.

خليفة الله

خاطب الله تعالى تلك الأرواح قائلاً: سأجعل لي خليفة في الأرض من الماء والطين، وسأجعلكم ذريته في عالم الماء والطين. فقلت الأرواح: إلهي، لقد اطمأننا إليك في هذا العالم، ونخشى أن نتفرق ونتشتت. فقال: إنني أعلم أنكم تتفوهون بهذا الكلام على سبيل الاعتراض وبسوء أدب. أتستعينون بي، وتخشون أن يتفرق جمعكم! إنني قادر على الكمال، ولا نقصان لقدرتي. فأنا أجمعكم، وأنعم عليكم بالآلفة والاتحاد في ذلك اللباس، ومن وراء الحجاب.

(٨٣) أهل الخرابات: «الخرابات في اللغة: بمعنى مكان شرب الخمر (خمارة). وفي اصطلاح الصوفية عبارة عن: خراب الصفات البشرية وفناء الوجود الجسمي والروحاني. والخراباتي صفة للرجل الكامل الذي تصدر عنه من دون اختياره المعارف الإلهية». وقيل: إن المراد من الخرابات هو مقام الوحدة، والخراباتي هو الفاني الذي فرغ من وجوده.

انظر: محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج ١ - ش، ص ٧٤٠، ٧٤١.

(٨٤) ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾. سورة النحل، جزء من الآية ١٢٨.

(٨٥) ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَكُمْ﴾. سورة التوبة، جزء من الآية ٤٠.

المقصود والمطلوب

لا شك أن في هذا العالم مقصودًا ومطلوبًا. وهناك شخص رفعت هذه السماء من أجله. والباقي أتباع وعبيد له. وهذا البناء وُجد من أجله، ولم يوجد هو من أجل هذا البناء.

مثل ضيف عزيز يحل على شخص، فيشد له الوثاق، ويكون هو في مقام آخر، ويقيم هذا البناء من أجله.

القاصد

ولهذا المقصود قاصدون. ولا يهتدي أي قاصد إلى الطريق سوى ذلك الذي يهديه الله تعالى. ولا يدركه قاصد بنفسه أبدًا إلا حين يظهر المقصود نفسه لذلك القاصد.

وقد توطأ هذا القاصد العالم برجليه، وطرحه خلف ظهره، وتخلى عن العلم، وخرب العوالم بسبب ذلك اللطف، وهو مستعد ومشتاق. وما دام قد تجلى له، لا جرم أنه يفقد الصواب.

بعيد المنال

إن هذا العلم لا يتحقق بالمجاهدة. ولو يناطح شخص السماء من أجل تحصيل هذا العلم، يزداد خذلانه وهوانه. وربما يتعبد في عالم الله ويجتهد عازمًا على تحقيق هذا الغرض، ولا ينوله.

من ثم قلتُ: أنا ذلك المطلوب، ومولانا يتعبد عنا. وما أطيّب سعادة من وجد مطلوبه، وأدركه، والعكس.

يوم التغابن

الوصية هي: اقرب اليوم الذي يطلقون عليه يوم التغابن^(٨٦). آه، فما فعلناه لا يفيد أي فائدة. لكن التغابن ينفع في هذه الساعة. مثلما قال عليه الصلاة والسلام: يأتي ذلك الرجل، فزَيَّن صورة وجهه، لتصير مطربتي في وقت الحزن.

رأيت منامًا فحواه: أن جماعة عظيمة عندنا، وأن حالًا عظيمًا اعتراك في ذلك المنزل، فاحمرَّ وجهك، وثلمت. وأنا كنت أقول: هلا، فلتشمل، فهذا يليق بك.

جاءت جماعة إلى ذلك المنزل من أجل الزيارة، فتقدمت إليهم، حتى لا يدخلوا، وكان عماد معهم. السلطان هو من يعلم أنني سلطان، وروح الصوفي تلهث، تريد أن تأتي، وتريد أن تمضي.

طول العهد

طول العهد منسي ليس هذا الحال هو حال العاشق. ينبغي الاستفتاح منذ البداية، ولا يتوقف على يوم معين. والاستفتاح هو: إرادة النصر. الكلام أنصع وأنقى من اللبن. وهو رمز بالنسبة إلى القاضي. فكسَّر الشوك، ولا تحطم الناي أبدًا.

(٨٦) **يوم التغابن**: يوم القيامة، سُمِّي بذلك لأن أهل الجنة يغبنون فيه أهل النار، أو لأنه يوم تبادل الاتهام بين المستكبرين والمستضعفين. almaany.com.

قلتُ للشيخ إبراهيم: إن التساخف منك. وخاطبتَه، وكنت أعلم الأحوال وما هي، ومن ذلك الذي أسدل الحجب أمام قلبه، ونسج الخيال عن عالمنا. وقد نشأ عن ذلك الخيال، خيال آخر.

حديث المعاني

هكذا أتحدث بهذه المعاني، وإذا كان عليه الصلاة والسلام موجودًا، لَمَا كان يتحدث بهذه المعاني، ليس بسبب العجز، بل لأنه كان مشغولًا، فلم يَقم بذلك.

اعلم أنه يفسر هذا الكلام كذلك. لكن لم يسبق لي قط توضيح ذلك المعنى بهذا القول. مع أنني أشغل نفسي بالحديث، لكن ذلك المعنى يخرج من بيتي، فإلى أين يهرب؟ وبالرغم من أنني أرتكب الإثم، فإنه يغفر لي.

رب غفور

﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾^(٨٧). ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾^(٨٨). لم يشرب الرسول ﷺ الخمر في مكان. لكن ذنبه كان هذا الكلام الذي كان يقوله. قال: إن الغفران لك لا ينقص ولا ينقطع، فارتكب كل ما تريد من الآثام، وتحدث.

إن هذا القول فُرقة له وبُعد، وبسبب بُعده هذا يحصل على ألف قرب. إنه يستطيع أن يقول كلامًا ألطف من هذا. لكنهم لا يستطيعون مجابته،

(٨٧) ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾. سورة سبأ، جزء من الآية ١٥.

(٨٨) ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾. سورة الفتح، جزء من الآية ٢.

فيضمحلون، ولا يطيقونه. لكنهم ينتفعون بقوله هذا، ويستمتعون. فيشمل الصديق، ويتبدل حال عمر، ويتعرض علي للسيف القاطع، فيكتسبون القوة، ويتهذبون.

الطلب

بدا المطلوب للبعض مقترناً بالطلب، وخطر المطلوب على ذهن البعض عند الموت، ومات البعض في أثناء الطلب مُهوَّسين به.

إن الموت أمر عظيم. في البداية ينمحي عملك تمامًا. كنت تتدلل لنا، ومن ثم كيف مضيت؟ الفائدة هي: متى وجدت العمل، انشغلت به.

أمنية الجميع

كانت عائشة رضي الله عنها قد رأت منامًا، لكنها نسيت أن تحكيه للرسول ﷺ، وإذا كانت قد حكته للرسول ﷺ، لَمَا كان يخرج من ذلك البيت.

إذا كان الوحي يهبط خمسمائة مرة من السماء، فهذا هو المطلوب الذي تمنى الأنبياء والأولياء جميعهم الحصول عليه والوصول إليه. لكن المطلوب الذي تمناه الرسول ﷺ بدا في قوله: **وا شوقاه إلى لقاء إخواني** ^(٨٩). وقد أدركه العديد من الرسل أولي العزم يومًا، ولم يكن يعلم به البعض، ولم يتحقق للبعض الآخر وصاله أو رؤيته.

(٨٩) **وا شوقاه إلى لقاء إخواني**: إشارة إلى الحديث: وددت أني لقيت إخواني. قال: فقال أصحاب النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- أوليس نحن إخوانك؟ قال: بل أنتم أصحابي، ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني.
الراوي: أنس بن مالك. المحدث: الوادعي. المصدر: الصحيح المسند. خلاصة حكم المحدث: صحيح. التخريج: أخرجه أحمد واللفظ له، وأبو يعلى، والطبراني في المعجم الأوسط. الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

مراعاة الأمر

قلتُ للحجاج: قل بعض الكلمات. وقد جرت العادة على أنه يستمع إلى الكلام لما يأتي. ولو أن مولانا لم تكن له رغبة في الكلام، لكنه كان قد انهمك في ذلك الكلام الذي كان يقوله مراعاة للأمر، وقال هذه الأقوال العديدة.

تلبيس إبليس

بذل إبليس كثيرًا من الجهد معكم، وأذاكم، وفتنكم. ويبدو كذلك أنه من الصعب أن يوسوس لكم بعد ذلك. وينبغي عليه أن يكابد كثيرًا من الألم ويحتجده، حتى يثير العداوة بينكم.

حقيقة الإيمان

أربعون صباحًا هي مفتاح قلبه، وإلا لا تفيده مائة ألف صباح. كان يحيى وعيسى يسجدان خفية.

ما يقولونه من أن الإيمان بأُس غير مقبول. أي بأُس مع الإيمان بهذا الإله؟ من لا ينشغل بزخارف هذه الدنيا، ويتمتع زينات ذلك العالم، ويرغب في شهوات تلك الدنيا؟ ألم يحدث لفرعون مثل هذا؟ من ثم كان يجب عليه أن يؤمن به. ولو أنه يجوز أن يؤمن بكلمة واحدة في آخر العمر^(٩٠).

(٩٠) إشارة إلى الآية: ﴿وَجَوَزْنَا بِنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْفِرْعَوْنُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾. سورة يونس، آية ٩٠.

كافر أم مؤمن

وردت ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾^(٩١) في القرآن ثلاث مرات فقط. وهو لا يقصد أن يستمر ذلك الكفر، لكن بمجرد أن تجاوز المرتين، صار كافرًا في المرة الثالثة. ثم سبق الكفر، وزاد على الإيمان. وكان ذلك القدر من الزيادة سبب حرمانه.

ولو أنني أتحدث على هذا النحو، يجوز أن تقول: ليس هناك شيء من هذا الخوف والوعد والوعيد. افعل كل ما تريد إذن، واتبع كل طريقة ترغب فيها.

كان يُعبّر عن العمر والشرع بلفظي الإيمان والمؤمن. وهذه جراحة وإهمال ومخالفة لما ورد في القرآن. وإشارة القرآن أولى.

هذا بسبب أنك تجعل الإنسان غافلاً ومغفلاً وعاجزاً. وهو نفسه ضعيف إلى حد لا يمكن وصفه، وقد سمع هذا: افعل كل ما تريد، واعلم حتى آخر العمر أنك ولد ولدت للأمر بكلمة.

بلى لو أنه يبدو كافرًا في الظاهر، لكن ربما كان مؤمنًا في الحقيقة، حتى إن نطق بالكفر في المرة الثالثة، لكنه مؤمن حقًا في الحقيقة. ولا يصدق عليه قوله: ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ في الحقيقة. وإلا كيف يكون هذا شرعًا وهو سبب هلاك الخلق؟ وهذا الإيمان مفعم بالخوف والضلال بالنسبة إليهم.

(٩١) ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾. سورة النساء، جزء من الآية ١٣٧.

كيف يكون هذا؟

لو أنك تسعى في هذا الطريق الذي تسلكه، وتجتهد ليلاً ونهاراً، فأنت صادق. فلماذا لا ترشد شخصاً آخر إلى سلوك الطريق، وتتركه غافلاً؟ ربما ليس هناك تقليد أو يقين في هذا الطريق! فتعال، وقل: كيف يكون هذا؟

يا لها من مكانة!

ما مكانة ذلك الذي يتحدث معه؟ إن ذلك المطلوب ينظر إلى مجوسي في السبعين من عمره بلطف في أثناء الطريق، ويطيب له، فلا يبقى ذلك الكفر أبداً، ويصبح إسلاماً كله.

هذا افتراء!

قال: إنني لم أقل: إن شمس الدين وليه. هذا افتراء عليّ. إنني قلت: كل شخص يسبه شمس الدين، يصير ولياً، بشرط أن يبلغه ذلك السباب.

وقت الفراق

ليس هذا بسبب أن الفراق سوف يقع، لكن بمجرد أن نخرج يوماً إلى السوق للتنزه، يحل وقت الفراق.

ما ضر الصوفي التصوف

قلت للشيخ: ماذا يلزم تصوفي وماذا ينقصه؟ فإنني لا أملك ثوباً. قال: ها. قل، قل. فقلت: هل أغفلت شيئاً قط من آداب الصوفية والتربية؟ إنني لا أضع ثوباً على جسدي الآن. وأي ضرر يلحقه من سلك الطريق بالتصوف والصفاء؟ قال: ربما لم يكن صوفيّاً.

خذ ما تريد

لقد جاء فصيح الدين، فقلت له: خذ كل ما تريده، وكنت أتحدث بصدق.

ابن آدم

قال البواب: من أنت؟ فقلت: هذه مشكلة. وأخذت أفكر، فاستاء الناس. أقول بعد ذلك: لقد كان هناك رجل عظيم قبل هذا الزمان، اسمه آدم، أنا من أبنائه.

الصوفي الحق

قالوا: نقاطعه، حتى يرحل. ونقول له: من أي خانقاه تأتي؟ ونؤذيه، ونطلب منه المال. إنني فكرت فيما يقولونه من قبل، وتمعنته كله.

قال فصيح الدين: ادخل، هذه اللقمة حلال عليك، وأنا فرد، وهي حرام عليّ.

في اليوم التالي ارتديتُ تلك الخرقة، وذهبت إلى الشيخ، فهل أنا صوفي حق في هذا الوقت؟ أهذا هو الصوفي؟

قال: من أين دخلت؟ قلتُ: من الكوة! فأنا أدخل من حيث أردت.

وقلتُ: إنكم لم تخرجوا لمشاهدة السلطان. فقال: إننا سعيًا لمشاهدة سلطان الشرع وسلطان التحقيق، ولم نبلغها.

لذة الطاعة

كان الشيخ أبو الحسن الخرقاني^(٩٢) رجلاً عظيمًا، وكان معاصرًا للسلطان محمود رحمه الله. وكان السلطان محمود فطنًا وطالبًا. حكوا له حكاية الشيخ أبي الحسن، فجاء إليه متضرعًا. لم يهتم الشيخ به كثيرًا، فقال السلطان: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٩٣). قال أبو الحسن: يا سلطان المسلمين، لقد استغرقنا في لذة أطيعوا الله، فلم تبقَ لذة أطيعوا الرسول، فكيف ندرك المرتبة الثالثة ألا وهي طاعة أولي الأمر؟ فبكى السلطان؛ وأمسك يد الشيخ بيده المرتعشة، وقبلها.

ظل السلطان

قال السلطان محمود: إنه شاهد الهُما^(٩٤) كان يطير، فقال للجنود جميعًا: اذهبوا، لعل اليوم يومكم. هروا الجنود يسارًا ويميًا. ولم يرَ

(٩٢) أبو الحسن الخرقاني: هو علي بن جعفر، من أهل خرقان التابعة لبسّاطم. ويعد من كبار صوفية القرنين الرابع والخامس الهجريين، وتوفي سنة ٤٢٥ هـ.

فريد الدين العطار النيسابوري: تذكرة الأولياء، ترجمة وتقديم وتعليق د. منال اليمني عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩ م، المجلد الثاني، ص ٥٦١. وللمزيد من المعلومات انظر ترجمته في الكتاب نفسه ص ٣٤٣.

(٩٣) ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. سورة النساء، جزء من الآية ٥٩.

(٩٤) الهما: الهما: طائر ميمون، طعامه العظام، يقولون في الأساطير: لما كان الملك يموت في الدول القديمة، ولم يكن له من يخلفه، كانوا يطيرون الهُما. وأي شخص كان يحط الطائر على رأسه، يصير ملكًا.

انظر: د. محمد معين: فرهنگ فارسي، مؤسسه انتشارات أمير كبير، تهران ١٣٧٥، جلد ششم أعلام غ-ي، ص ٢٢٩٥.

السلطان محمود إيازًا، فقال: ألم يذهب غلامي إياز؟ لعل ظل الهما يقع عليه! ثم نظر، فشاهد جواد إياز، وسمع أنينًا ونحيبًا. فنزل، حتى يرى.

وجد السلطان محمود إيازًا أسفل الجواد، وكان ينوح وهو عاري الرأس. فقال له: ماذا تفعل؟ لماذا لم تذهب في طلب ظل الهما؟ فقال: أنت طائري وهو ظلك. إنني أطلب الظل لأنه ظلك، وأتركه لك. لماذا أطلبه؟ فاحتضنه السلطان، وامتزج ظله بظله. ومثل هذا الظل لا يبلغه ألف طائر هُما. **السلطان ظل الله** (٩٥).

عالم الله

عالم الله نور على نور، ولذة في لذة، وعظمة فوق عظمة، وكرم يعقبه كرم. هذا الظل الذي أراه هو الدنيا بأسرها. العالم كله سوء وقبح وزوال ووقاحة. فكيف يكون ظله إذن؟ بلى، إذا كان سلطانًا، وتحقق له ذلك المعنى، يكون الأمر حسنًا للغاية.

تحفظ حرمة الغصن من أجل الثمرة. حين لا تبقى الثمرة، يكون الغصن جديرًا بالحرق. الصورة حسنة حين يقترب بها المعنى، ولو أنه لا يهتم بالمعنى!

(٩٥) **السلطان ظل الله**: إشارة إلى الحديث: إذا مررت ببلدة ليس فيها سلطان، فلا تدخلها، إنما السلطان ظل الله ورمحه في الأرض.

الراوي: أنس بن مالك. المحدث: البخاري. المصدر: المقاصد الحسنة.

خلاصة حكم المحدث: ضعيف. الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

سحر الكلام

لقد تحدثوا بهذا الكلام من أجل فهم كلام مولانا الذي هو بمثابة الطلسم والمكر العظيم. إنه سحر.

لقد جلس شخصان كلاهما صحيح البصر، ليس في عينيه مرض أو غبار أو أذى أو ألم. فيبصر أحدهما، ولا يبصر ذلك الآخر مطلقاً.

تعليم الحكيم العليم

بلى إن كلام العارفين حسن، إنه ليس تعلمًا، إنه تعليم. يقول الحكيم العليم: إنه كامل في ذاته واسع العلم.

مثلما يمتلئ وعاء بالماء المالح. فيقول: أفرغه أنت، حتى أملاؤه بهذا الماء الزلال. إن رشقة من ذلك الماء المنعش تجعل الوجه أحمر، وتجلب الصحة، وتقيك مما بك من صفراء وسوداء^(٩٦) وبلغم وسقم. لكنه جدير بسكب مياه سبعة أنهار والاعتسال بها، لا بذلك الماء. ولأنك تغسله بذلك الماء المالح، فكيف يصير طاهرًا؟ فلتغسله بهذا الماء الزلال حتى يتطهر. وما دام قد غسله، يرى نفسه في الحال، ويكملها. لكنه يقول: إنني أرى حال سكبته وامتلائه، ولا أرى الأمطار. فيقول: إنك ترى كرمي في النهاية، فأنا كريم ووهاب وصادق الوعد.

(٩٦) السوداء: أحد الأخلاط الأربعة التي زعم الأقدمون أن الجسم مهياً عليها، بها قوامه، ومنها صلاحه وفساده، هي: الصفراء والدم والبلغم والسوداء.

من ثم ينبغي أن يعلم هذا الشخص بأن الله ينزله من دون أي توقف، وأنه هو الذي يتأخر في سكبهِ على الدوام. ومن ثم فإنه لا يفهم هذه المعاني.

حين تمتلئ معدة الأناني بالماء، كيف يشتهي الماء البارد؟ وقد أسدل أمام عينيه ووجهه مائة ألف حجاب من ذلك الوجود. فمن يُبلِّغه هذا الكلام، ليفهمه؟

جنات تجري من تحتها الأنهار

كان مولانا يقول لي: إنني أشاهد الأشجار والبساتين وأنهار الماء الصافي الزلال التي لا يمكن وصفها بسبب اللطف. لا أقول الأشجار التي تضرب جذورها في الأرض فحسب، بل التي تتجاوز أغصانها سدة المنتهى. وأرى الظلال الوارفة والنباتات البديعة. وهم لا يشاهدون شيئاً بسبب عشق السيادة والزعامة.

أهل الشهوات من غير السالكين هم وأولئك العشاق لا ينشغلون بالزعامة. يقول الله تعالى: لو يعلم الناس، يجدوني حيث يريدون، ويستمعون إليّ، ويتحدثون عني، ويرغبون فيّ.

إنني لم أقل ذلك بسبب الطمع، بل قلته كي تكون عندي حجة لأزكيك حين أتحدث بعذرِكَ قائلاً: لم يكن ذلك منه. وقد ذهبتَ خجلاً، واستحييتَ منهم، وجئتَ. وكان تأثيرهم عليك في الأوقات كلها أقوى من تأثيري.

إنه هراء!

أسهل العلوم علم الاستنجاء وتوابع الفقه. والأصعب منه علم أصول الفقه، والأصعب منه علم أصول الكلام، والأصعب منه علم الفلسفة والإلهيات.

يقولون: إنهم يعارضون الأنبياء، وإذا لم يكن هناك خوف من السيف، لكانوا يتحدثون عن مذاهبيهم حتى نؤمن بها. وهم يهدون. وما يقوله أفلاطون وأتباعه وفحواه: إذا كان الجميع مثلنا، لَمَا كانت هناك حاجة للأنبياء، هراء.

لأن أفلاطون سمع أن شخصًا يجعل التراب ذهبًا من دون معالجة، وكنْتَ أنت أخاه، إذا فعلت مثله. من ثم ما دمتَ لا تستطيع، وتراه متفوقًا عليك، فكيف لا ترى اتباعه واجبًا عليك؟

إنهم أحكم الحكماء جميعهم وأكثرهم فلسفة، وصاحب الكرامة هذا أكثر منهم حكمة، لأن هؤلاء القوم يهزلون، وينكرون، ولا يدركون ذلك.

المعجزات والكرامات

المعجزات أقوى من الكرامات، لأن النبي يظهر معجزة في أي وقت يريد بخلاف صاحب الكرامة.

ولو أن العبد الذي يتمناه الأنبياء -اجعلني من أمة محمد^(٩٧) - أكثر ذكاء وحكمة منهم جميعاً. ربما أدرك صحبة مثل هذا الشخص. وأنتم لا تَعْتَدُونَ بهذا الذكاء الذي يعين عقولكم على التدبر، وذلك العلم الذي يجعل أعمالكم لا تستوجب الندم. فلا تقولوا: ليتنا كنا نفعل هكذا!

من ثمَّ مَنْ يريد أن يكون لكم نصيب من صحبته؟ وما دمتم لا تستفيدون شيئاً من صحبة من هو أدنى، فكيف تطمعون في الأعلى؟ قل للجمع: **الشأن فيه ثبت العرش ثم انقش^(٩٨).**

(٩٧) اجعلني من أمة محمد: إشارة إلى الحديث: عندما ذهب سيدنا موسى للقاء ربه، قال موسى: يا رب، إنني أجد في الألواح أمة هي خير أمة أخرجت للناس؛ يأمرن بالمعروف، وينهون عن المنكر، رب، اجعلهم أمتي. قال رب العزة: تلك أمة محمد. قال موسى: رب، إنني أجد في الألواح أمة هم الآخرون في الخلق، السابقون في دخول الجنة، رب، اجعلهم أمتي. قال رب العزة: تلك أمة محمد. قال موسى: رب، إنني أجد في الألواح أناجيلهم في صدورهم يقرأونها، وكان من قبلهم يقرأون كتابهم نظراً، حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئاً، ولم يعرفوه، وإن الله أعطاهم من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً من الأمم، قال: رب، اجعلهم أمتي. قال رب العزة: تلك أمة محمد. قال موسى: رب، إنني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول، وبالكتاب الآخر، ويقاتلون فضول الضلالة، حتى يقاتلوا الأعداء الكذاب، فاجعلهم أمتي. قال رب العزة: تلك أمة أحمد. قال موسى: رب، إنني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم، ويؤجرون عليها. وكان من قبلهم من الأمم إذا تصدق بصدقة، فقبلت منه، بعث الله عليها نازراً فأكلتها، وإن ردت عليه، تركت، فتأكلها السباع والطير، وإن الله أخذ صدقاتهم من غنيهم لفقيرهم. قال: رب، فاجعلهم أمتي. قال رب العزة: تلك أمة أحمد. قال موسى: رب، فإنني أجد في الألواح أمة إذا همَّ أحدهم بحسنة ثم لم يعملها، كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. قال: رب، اجعلهم أمتي. قال رب العزة: تلك أمة أحمد. قال موسى: رب، إنني أجد في الألواح أمة هم المشفعون المشفوع لهم، فاجعلهم أمتي. قال رب العزة: تلك أمة أحمد. فنبذ موسى عليه السلام الألواح، وقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد...

الدرجة: موضوع. أحاديث منتشرة لا تصح، الدرر السنية dorar.net.
(٩٨) ثَبَّتَ العرش ثم انقش. أو أثبت العرش ثم انقش. مثل سائر يقال عند كثرة الدعاوى التي لا تستند إلى دليل واضح ولا إلى حجة بينة. al-ershad.net.

المريض والظمان والجائع

تلك القوة كلها لك، ويستمد شخص آخر القوة منك، فكيف تقول أنا ضعيف؟ نعم، إن العظمة هي أن تسمي نفسك ضعيفًا بسبب كمال العظمة.

اصمتوا، لأنكم تجعلوني أفقد الثقة بكم، ولو أنني ذلك الذي تثقون به بسبب العظمة. الجميع حسن، وإذا لم أكن كذلك، فأنا حكيم في النهاية، وأرغب في الثقة بكم - مع حكمتي هذه - كما ترغبون.

مثل المريض الذي جاء إلى الطبيب قائلاً: عالجني من الاستسقاء. من ثم ينبغي عليه ألا ينشغل بشيء أبدًا سوى طلب العلاج. أو الظمان الذي جاء باحثًا عن الماء البارد، فيقدمون له الخبز أو الحلوى اللذيذة. فلو أنه يتناولها، يكون كاذبًا في دعوى العطش. أو الجائع الذي ادعى الجوع، فيكون امتحانه بأن يحضروا له الماء الزلال، ولو يشربه، فهو كاذب.

وأنتم تتحدثون هكذا بكلام لطيف مثل حكاية السلطان وغيرها. وتحدثت أنا برمز، وشرحت لمولانا رمز الحجاج^(٩٩). فقد دخل الحجاج بالأمس وكأنه شخص متعرق من الحر خرج إلى البرد، فيؤثر عليه البرد الخارجي، ويضيق صدره، ويصاب بالسوداء.

(٩٩) الحجاج: المقصود هو الشيخ الحجاج النساج من أصحاب مولانا وأبيه.

انظر: شمس الدين تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، ص ٣٢٩.

أشرت على مولانا بأن يتحدث. ومع أنه كان مستغرقاً، إلا أنه امتثل للأمر، وتحدث. ذهب الحجاج، وتبدل الحال، وسال دمه. فحكيت حكاية الأمر وتحطيم الجوهر، ولم أنشغل إلا بالدعاء للأصحاب بأن يحفظهم الله. سنة محمد ﷺ، واتباعاً له. اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون^(١٠٠).

أجلسه مولانا في الخلة الأربعة، ثم سأله: أيها المريد، أي واقعة رأيت؟ رأيت شيخاً يجهل أحوال المريد هكذا؟ أي بماذا وسوس الشيطان لك؟ إنني صبي الشيطان. قل، حتى أتم لك وسوسته، فتعيد عن طريق الله، ولا تسلكه مرة أخرى.

إنها أبدية وليست أزلية

هذه الجنة مخلوق، وهي المكان الذي تلتقي فيه الخليفة، لكن ينبغي فهم كنهها في البداية، حتى تتم الإحاطة بها.

إنني أقول: إنها أبدية، لكنها ليست أزلية. الله هو الأزلي الأبدى.

(١٠٠) اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون. إشارة إلى الحديث: شهدت النبي ﷺ حين كسرت رباعيته، وجرح وجهه، وهشمت البيضة على رأسه، وإني لأعرف من يغسل الدم عن وجهه، ومن ينقل عليه الماء، وماذا جعل على جرحه حتى رفاً الدم. كانت فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ تغسل الدم عن وجهه، وعلي رضي الله عنه ينقل الماء إليها في مجنة، فلما غسلت الدم عن وجه أبيها، أحرقت حصيراً، حتى إذا صارت رماداً، أخذت من ذلك الرماد، فوضعت على وجهه حتى رفاً الدم، ثم قال: يومئذ اشتد غضب الله على قوم كلموا وجه رسول الله ﷺ، ثم مكث ساعة، ثم قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

الراوي: سهل بن سعد الساعدي. المحدث: الألباني. المصدر: السلسلة الصحيحة.

خلاصة حكم المحدث: إسناده حسن أو صحيح.

الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

أخبرك بعلامات أهل الجنة وبعلامات أهل الجحيم. إنهم في ظهور وانجلاء في كل يوم وفي كل لحظة منذ ذلك اليوم الذي خلقوا فيه، مثل السهم حين ينطلق من القوس. هذا الأمر صعب للغاية، يحار فيه العقل.

أنت تضحك، وأنا أقهقه!

كل شخص رأيته متمسًا بالخلق وسعة الصدر والفصاحة والحلم، ويدعو للعالم بأسره بالخير، ينشر قلبك لكلامه، وتنسى هذا العالم وشدته.

ليس الحليم هو الذي يتحدث بالكفر، فتضحك أنت، لكنه من يتحدث بالتوحيد^(١٠١) المحض، فينهل دمعك مثل سراج الدين^(١٠٢) في الظاهر، وتضحك مائة ألف ضحكة في الباطن. وأنا أقهقه.

وإذا غضب، وحزن قليلاً، تدرك قبضاً في كلامه وفتوراً وسخفاً، فتستاء من كلام ذلك الشخص إلى حد أنك تغضب. من ثم إنك لا تجد ذلك الاستعداد بسبب سخفه. فهو شيطان من أهل جهنم.

(١٠١) التوحيد: التوحيد في اصطلاح أهل الحقيقة تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام، ويتخيل في الأوهام والأذهان. والتوحيد ثلاثة أشياء: معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة.

د. أنور فؤاد أبي خزيم: معجم المصطلحات الصوفية، ص ٦٤.

(١٠٢) سراج الدين: هو سراج الدين محمود بن أبي بكر الأرموي قاضي قضاة قونية، وعالم من علماء القرن السابع الهجري الكبار. ومن مؤلفاته: كتاب مطالع الأنوار في المنطق الذي شرحه قطب الدين الشيرازي صاحب درة التاج. وتوفي سنة ٧٦٦هـ.

انظر: شمس الدين محمد بن ملك داد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، بتصحيح وتحشية ومقدمة احمد خوشنويس عماد، ص ١٤٦.

وكل شخص يطلع على هذا السر، ويدرك مغالطاته تلك، لا يبالي بمائة ألف شيخ. فكيف يبالي بالخاتمة أو يهتم بالسر؟

يعيش الحيوان عبثاً، ويحيا الإنسان بالسر. كل من عاش عبثاً، يصدق عليه قوله: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾^(١٠٣). وكل من يحيا بالسر، يصدق عليه قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾^(١٠٤). فكيف يستوعب هذا الرأس والمفرق السر؟ وماذا أفعل ما دام هذا المكان لا يسعه؟ وأنت تحفظ السر بشجاعة يا مولانا!

هذه بدعة

كان السراج يطلب طلباً من ذوي اللحي ومعدومي اللحي ومن هذا الطوسي وغيره. فوصلوه ببركات ذلك الطلب إلى هذا الصدر. وقد علمنا أن اليقين لم يتحقق في خدمة ذلك الشيخ. ولكنني استطعت أن أفهم الخلق الكلام. إنه يأمر بالتراويح وهذه بدعة جديدة^(١٠٥). حتى لا يضطرب قلبه. إنها بدعة تطمئن بها أرواح العاشقين.

(١٠٣) ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾. سورة الفرقان، جزء من الآية ٤٤.

(١٠٤) ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾. سورة الإسراء، جزء من الآية ٧٠.

(١٠٥) هذه بدعة جديدة: إشارة إلى الحديث: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون؛ يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد، لكان أمثل. ثم عزم، فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى، والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون. يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله.

الراوي: عبد الرحمن بن عبد القاري. المحدث: البخاري. المصدر: صحيح البخاري. خلاصة حكم المحدث: صحيح. الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

أجلسته أمة اليهود كلها في الخلوة على سبيل التأديب. وقالوا: لا ترتكب هذه حماقة مرة أخرى. قال: هل أجتنبها؟ قال: لا. ومضى، فلا تزايد على الأستاذ بعد ذلك.

هَوْنٌ عَلَيْكَ؟

يقول الله تعالى: بعد أن تم السعي، تقول: إن هذا العالم خلف امرأة، وإنني أشاهد نور الجلال في هذه المرأة، ومن ثم لم تبق لي قدرة أو قوة، لعلك تهني القدرة والقوة. قال: بلى، لكن هَوْنٌ عليك، حتى نمنحك القوة. قال: يا رب، إنني أسعى وأجد في هذا المقام الصعب.

لقد شغل الحق جل جلاله -مثلما يحجم الحجاج الطفل الصغير بالجوز والزبيب، ويترك الشفرة حتى لا يصيبه بأذى، ولا يشعر بألم أو عذاب- العبد بذلك السعي.

تجلى الله تعالى له، فانكسرت المرأة. كان صاحب القلب فصار صاحب الحق. ووقع مثل هذا الأمر، ففني عن نفسه.

اقرأ الآية ﴿لَكَؤَدِيْكُؤُ وَلِي دِيْنٍ﴾^(١٠٦). لماذا لم تخالف الفقه؟ ولم تذهب بنفسك إلى مولانا يومًا. يلزم شيخ يومًا من أجل الإرادة والرفعة والسلوك. لذلك عرفت طريقته. إنه ولد روح محمد وقلبه ولقد كان ريب شيخ لا يزال، وأدبني ربي فأحسن أدبي^(١٠٧). وهكذا كان أبنائه مدللين.

(١٠٦) ﴿لَكَؤَدِيْكُؤُ وَلِي دِيْنٍ﴾. سورة الكافرون، آية ٦.

(١٠٧) أدبني ربي فأحسن تأديبي. حديث ضعيف. الدرر السنية، أحاديث منتشرة لا تصح.

فتعال، وقل: كم مرة تقاعست عن طاعة أمري؟ ولماذا لم تنفذه؟ قل، حتى تتناقش، فهذا هو الكلام بعينه.

هل فهمت؟

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ (١٠٨). ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (١٠٩). هل فهمت أيها السيد ماذا قال؟ لقد فهمت معني واحدًا. قال: إن فهمها ذو وجهين: الوجه الأول: لما تدخلت في الكلام، ضاع الكلام مني، والوجه الآخر: حين لا يبقى الطمع في العلم، والطمع في المعرفة، والطمع الدنيوي، أفرض عليكم شيئًا يحقق مصالحكم.

استغفر

يتحدث شخص إليكم حديث الدراويش، فتنصتون له باهتمام، ولا تستمعوا إليه بغير ذلك.

هذا الاستغفار لا قيمة له في الحقيقة. إنهم يسهبون في الحديث. وأنا أشك أننا استغفرنا. فلا يلزمهم نصير أو معين.

كان مولانا شمس الدين يطالع هذه الرسالة، ويلحن في كلامه، ويقول عندئذ: إنني لا أعلم هذا. ما أطيب المصطفى الذي كان فارغًا من الأخيلة كلها في عين الصفاء، ومشغولًا بك، وفارغًا من الجميع، وخاليًا!

(١٠٨) ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾. سورة البقرة، جزء من الآية ٣٢.

(١٠٩) ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾. سورة المائدة، جزء من الآية ١٠٩.

السيد فلان

اللاعب على الجبل ذلك، والمبارز بالعصا، كلاهما مغمض العينين،
منتعل نعلًا في قدميه، وفوق رأسه إبريق ماء، وفي يده أربع عملات. تأتي
قدماه وتذهبان في عسر، وتعودان في يسر. يلقي بنفسه فجأة، ويلتقط
الجبل برجليه، ويعلقه في إصبعه، ويقفز مرة أخرى، ويرتفع.

وقد سقط عربي قوي البنيان، ولم يعيش ذلك العربي طويلًا، فكان
رفيقه ينوح عليه في كل مرة، ويقول: لعبتُ هذه اللعبة باسم السيد فلان.
وكانوا قد ظنوا في تلك العصا ظنين. وكانوا يعلمونه على شاطئ
البحر بسبب الإنعام الوفير. فلو أنه يسقط، يسقط في البحر. عندئذ
يمدون له العصا، ويجلبونه إلى الساحل. ويضربونه بالعصا.

أسوأ من كافر

ذلك الشخص الذي يسبني، يطيب لي. وذلك الذي يثني عليّ،
يؤذيني، لأن الثناء ينبغي ألا يكون بعده إنكار. ومن ثم فإن المنافق أسوأ
من كافر. ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ﴾ (١١٠).

قال كافر: تعال هذه المرة، حتى نذهب معًا إلى دمشق، ونمضي
بمجرد أن يحل الخريف. ولا صلة لي به مطلقًا!

حماقة المريدين

كان هؤلاء المريدون حمقى، فلو أن كل واحد منهم كان يمنحني

(١١٠) ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ﴾. سورة النساء، جزء من الآية ١٤٥.

أجره السنوي قائلاً: خذ هذا، وارحل.

وكان همام يمنحني ثلاثة دراهم أو أربعة. وكان كل شخص يمنحني شيئاً، فكان يتوفر لي عشرة آلاف أو اثنا عشر ألف درهم.

وكنت أرسل رسالة إلى مولانا خفية فحواها: يا مولانا، لقد توفر القليل من المال، فانهض، حتى نرحل. وكنت أنهض، وكنا نقضي وقتاً طيباً، ثم نعود.

إياك والمكر!

كل شخص يظهر له من يعوقه إلا شمس الدين خونجي^(١١١). فإذا وهبته نفسي، لكان أمره ينصلح حتى آخر العمر. لكني مكرت، وأثر فيه ذلك المكر.

وا أسفاه على ذلك اليوم الذي أسلك فيه سبيل المكر، فما عملي سوى المكر!

من ثم إذا اشتريت حميراً، لنمضي، فماذا يحدث؟ إنك تقول: إنني لا أريد أن تمضي. وهذا لن يكون. أشتري أنا جواداً. وابق أنت هنا، ولا ترحل. تقول: إن هذا مكر أيضاً، وهذا ليس شأني.

(١١١) شمس الدين الخونجي: المراد شمس الدين أبو العباس أحمد بن الخليل المعروف بابن الخونجي. أجاد الكلام والحكمة والطب، وألف كتباً في الأصول والنحو والعروض، وتولى منصب القضاء في الشام، وتوفي سنة ٦٣٧ هـ.
انظر: شمس الدين تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، ص ٢٧٩.

الإسلام والكفر

الإسلام هو مخالفة الهوى، والكفر هو موافقة الهوى. إنني لا أستطيع أداء الخراج والعيش.

وافق الرسول ﷺ، وقبل، وقال: **من آذى ذمياً فكأنما آذاني** ^(١١٢). لكنه يقول: أنا مؤمن، وهو ليس كذلك، ويقول: أنا مسالم، وهو ليس كذلك.

النفاق الجلي والنفاق الخفي

الشكر واجب على الكافر، لأنه ليس منافقاً على كل حال. وما دام قد اقترب من درك الجحيم ذلك، تتخبط أبوابها، وتُغلق، وتفتح مثل بيت خرب خالٍ.

يسمعون أنين المنافقين، فيقولون: أي قوم أنتم؟ فقد خرج الجميع، وما زلتم أنتم! فيقولون: كنا طائفة المنافقين، ولا نستطيع الخلاص أو البقاء. كان شمس الخونجي قد ذكر هذا الحديث، لكنه لم يشتهر.

من ثم ذلك الشخص الذي يدرك المعنى، يأخذ منه العبرة، ولكن المنافق جلي، والنفاق خفي أيضاً. ينبغي الاجتهاد حتى ينمحي من الطبيعة الإنسانية.

(١١٢) من آذى ذمياً فقد آذاني. المحدث: ابن تيمية. المصدر: مجموع الفتاوى.

خلاصة حكم المحدث: كذب على رسول الله ﷺ.

الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

المؤمن مرآة المؤمن^(١١٣). هكذا يكون الكلام الكامل بديعاً، فإما أن الحق مرآة العبد أو أن العبد مرآة الحق.

همزات الشيطان

كان رجل يسأل شمس الخونجي، وكان غرضه الطعن في حق فقيه قائلاً: إن فلاناً يعلم الكثير عن كل فن، وتبلغ جامكته كذا. وفلان الآخر لا يحفظ شيئاً، وتبلغ جامكته كذا! فقال: إنه ليس صُحُفياً^(١١٤) في النهاية، لكنه يجيد الكلام، ولديه خبرة. ألا ترى كيف يتناقش في وقت النقاش؟ لكن الآخر مع أنه يحفظ، لكن ليست لديه خبرة. ألا ترى أنه لا يجيد البيان في وقت النقاش.

من ثم هذه التفرقة بسبب العلم الظاهر بالمحسوسات^(١١٥)

(١١٣) المؤمن مرآة المؤمن: إشارة إلى الحديث: المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه.

الراوي: أبو هريرة. المحدث: الألباني. المصدر: صحيح أبي داود. خلاصة حكم المحدث: حسن. التخريج: أخرجه أبو داود واللفظ له، والبزاز، والطبراني في مكارم الأخلاق. الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net. (١١٤) الصحفي: الصحفي هو الشخص الذي لم يسلك طريق التصوف، لكنه تعلمه من الكتب. انظر: شمس الدين تبريزي: مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، ص ٢٧٩.

(١١٥) المحسوسات: المحسوس هو الحسي أي المدرك بالحس، والمحسوسات الجمع. وهو قد يكون محسوساً بالأصالة بالذات، وقد يكون محسوساً بالعرض. والمحسوس بالذات ما يكون محسوساً لا بالتبعية، والمحسوس بالعرض ما يكون محسوساً بالتبعية بالأصالة، مثلاً البصر يحس الضوء واللون بالذات، والعظم والعدد والوضع والشكل والحركة والسكون والقرب والبعد بالعرض أي بتوسط الضوء واللون. محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج ٢، ص ١٤٨٧.

والمعقولات^(١١٦). فماذا يكون هذا العلم؟ إنه مكر أيضًا. ألم أقل لكم؟
يعني أن شخصًا يقول لي هذا الكلام على سبيل المكر. لكن سلوكه
الباطن لا يطلع عليه إلا هو.

أيقول شخص يريد المصالحة مثل هذا الكلام؟ بل إنه يقول كلامًا،
لو يصل إلى سمع شخص، يرغب هذا الشخص في مصالحته، ويقول:
إنني أخجل منه كثيرًا، لعلها كانت همزات الشيطان. ألا تقول أي فقدان
للسواب اعتراني؟ وأي وسواس انتابني، فبدا مني شيء كدّر خاطره؟

سَدُّ الْحَسَابِ

سرعان ما أقر اللص الطيب بلسانه قائلاً: إنني ادخرت تلك
الدراهم. ولو يطلع شخص على حال مثل هذا اللص، ينثر ألفي درهم
تحت قدميه.

من ثم سَدُّ الحساب، ماذا فعلتَ بإيراد ذلك التفاح؟ قل الصدق.

(١١٦) **المعقولات:** المعقول هو المُدْرَك. ويسمى ما يعقل في الدرجة الأولى سواء كان
موجودًا أو معدومًا أو بسيطًا أو مركبًا، وما لا يعقل إلا عارضًا لغيره، إذا كان ما يطابقه في
الخارج كالإضافات إذا قيل بتحققها، بالمعقول الأول. أما المعقول الثاني فهو ما يعقل
عارضًا لمعقول آخر، ولا يوجد ما يطابقه في الخارج. والمعقولات الثانية هي العوارض
المخصوصة بالوجود الذهني. والعوارض ثلاثة: ما للوجود الخارجي بخصوصه مدخل
فيه كالحركة والسكون، فلا يوصف الشيء به حال وجوده في الذهن. وما للوجود الذهني
بخصوصه مدخل فيه كالكلية والجزئية، فلا يوصف به الشيء حال وجوده في الخارج،
وهي المسماة بالمعقولات الثانية. وما ليس لأحد الوجودين بخصوصه مدخل، ويسمى
لوازم الماهية.

انظر: السابق، ص ١٥٩٣.

قلتُ: ربما قلت شيئاً يوضح لهم حقيقة الحال.

تكلّم

كنت أتمنى: لو أن خصومنا كانوا يتبادلون الحديث في وقت ما، أن تتحدث أنت بكلام طيب، لكنك لم تقل شيئاً قط، وكان ينبغي عليك قول الصدق كذلك.

وقد فارقتمكم، لأن درويشاً استاء منكم. إن ذلك الكلام كان يفيدهم، ولا ينبغي الاحتفاظ بكل ما يرد على خاطر، ويجب قوله للصاحب بسرعة.

بستان سجننا

القلب^(١١٧) الذي هو أعظم من السماء ودائرة الأفلاك وأرحب، لماذا ينبغي عليه أن يضيق بتلك الوسائس، ويسجن نفسه؟ فلنجعل السجن بستاناً لنا، ولما يصير سجننا بستاناً، انظر كيف يكون بستاننا!

(١١٧) القلب: القلب: «الطيفة ربانية روحانية لها تعلق بالقلب الجسماني كتعلق الأعراس بالأجسام والأوصاف بالموصفوات... والقلب في اصطلاح المتصوفة هو: جوهر نوراني مجرد، وهو وسط بين الروح والنفس، وبهذا الجوهر تتحقق الإنسانية». والعالم مرآة القلب، والدليل على ذلك قوله: لا تسعني أرضي ولا سمائي ويسعني قلب عبدي المؤمن. والوسع ثلاثة: وسع العلم: وهو المعرفة بالله، ووسع المشاهدة: وهو الكشف الذي يطلع القلب على جمال محاسن الله تعالى، فيذوق لذة أسمائه وصفاته بعد أن يشهدها، وهو وسع العارفين، ووسع الخلافة: وهو التحقيق بأسمائه وصفاته حتى يرى ذاته ذاته، وتكون هوية العبد عين هوية الحق، وإنيته عين إنيته، فيتصرف في الوجود تصرف الخليفة في ملك المستخلف، وهذا وسع المحققين.

انظر: محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج٢، ص ١٣٣٤-١٣٣٦.

سجن المؤمن

لم يلتبس عليّ حديث قط من أحاديث الرسول ﷺ إلا الحديث: **الدنيا سجن المؤمن**^(١١٨). إنني لا أرى أي سجن! أين السجن؟ لكنه لم يقل: سجن العباد، بل قال: سجن المؤمن. قال: العباد قوم آخرون. كل شيء يصادفك، سرعان ما تخبر به الصاحب، هكذا هي الأحوال، وتفرغ. والصاحب نفسه يدرك ذلك.

دعاء

ليمنح الله مولانا العمر الطويل، وليحفظه من الآفات، وليزد في محبته.

يدا المعشوق

للمعشوق يدان: فأيهما اليد اليمنى؟ وأيهما اليد اليسرى؟

صفات الله تعالى

كان يقول في ذلك اليوم: لا فرق بين ﴿تَبَّتْ﴾^(١١٩) و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١٢٠)، وكلاهما سواء. ولقد قلتُ كذلك في وقت ما. فتعال،

(١١٨) **الدنيا سجن المؤمن**: إشارة إلى الحديث: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

الراوي: أبو هريرة. المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الترمذي.

خلاصة حكم المحدث: صحيح. التخریج: أخرجه مسلم.

الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

(١١٩) ﴿تَبَّتْ﴾. سورة المسد، جزء من الآية ١.

(١٢٠) ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. سورة الإخلاص، جزء من الآية ١.

كيف تحدثت في ذلك اليوم؟ ما معنى تبت؟ إن معناها: هلك أبو لهب، ﴿سَيَصْلَى نَارًا﴾^(١٢١)، سيصلى نارًا مهيبة ذات لهب. من ثم كيف تتساوى مع قل هو الله أحد؟ تلك صفات الله لا غير.

على كل حال ينبغي أن تقول له: فلتُمت مسلمًا وتنجو، ولا تُمت كافرًا. أنا مسرور مسرور مسرور إلى حد أن العالمين لا يسعاني بسبب السرور.

أتعرف اللقلق؟

كان الفقيه -الذي ارتدى السواد- قد احتد على مُكاري^(١٢٢)، وقال: فليمض هذا الحمار السيئ. أما غداً أنا حمار جيد. قال المكاري: اليوم أريد أراد الفقهاء أن يؤمهم ذلك الفقيه في صلاة العشاء، حتى يعلم الملك العادل أنه لا يعرف الفاتحة. فأخذوا يحكون للفقيه الحكايات (حتى يحل وقت الصلاة)، ففهم. من ثم يقول للملك العادل: أيها الملك، أتعرف مسلك اللقلق؟ قال: لا، وأمر بإحضار نعليه. وعلى هذا النحو كان يُقدّم قدمًا، ويُؤخّر الأخرى.

بلى حين تشوش أفكار هؤلاء الناس الذين آمنوا بهم، فهو شر، لأن السباع والاضطرابات والوساوس تثور في بواطنهم.

العقيدة الأولى

كان رجل يقول للشيخ: إنه لا يجد في نفسه كفرًا أو إيمانًا، وإنه ليس

(١٢١) ﴿سَيَصْلَى نَارًا﴾. سورة المسد، جزء من الآية ٣.

(١٢٢) المكاري: المكاري: الذي يؤجر الدواب ونحوها. وهو الذي يُستأجر لنقل المتاع ونحوه على الدواب وغيرها من وسائل النقل. almaany.com.

يهودياً ولا مجوسياً، وإنه لا يعتقد عقيدة أبويه. وكلما كان يسأل نفسه: ماذا كانت عقيدة أبي؟ وماذا كانت ملة أمي؟ لا يجد إجابة. ومهما يقول: انظر، على أي عقيدة كنت في البداية، حتى أعود إلى تلك العقيدة والديانة، وأبقى عليها بعد هذا. أجد هذا الطريق وعراً للغاية، لا بداية له ولا نهاية. لا شك أنه لا يتيسر لأحد، ولا يهتدي شخص أبداً إلى تلك العقيدة الأولى.

مثال ذلك رجل يخلع ثيابه، وينزل نهراً ليغتسل. الماء يجري بسرعة، فيجذبه، ويسحبه. ينطلق الرجل نحو الثياب ليخرج، ويرتديها، لكن الماء الجاري يجذبه ويسحبه.

الاستغراق في المعبود

كان عمل محمد ﷺ هو الاستغراق^(١٢٣) في ذاته. فالعمل عمل القلب، والطاعة طاعة القلب، وذلك الاستغراق هو استغراق في معبوده. ولكن لما علم أنه ليس لكل شخص سبيل إلى ذلك العمل الحقيقي، وأن قليلاً من الأشخاص من يعتربه حال الاستغراق، أمرهم بهذه الصلوات الخمس والصيام والمناسك، حتى لا يبقوا محرومين، ولكي يتميزوا على الآخرين، وينجوا، ويجوز أنهم يفيدون من ذلك الاستغراق أيضاً.

وإلا فأين الجوع من طاعة الله؟ وأين ظواهر التكاليف والذكر، وأين

العبادة؟

(١٢٣) الاستغراق: الاستغراق هو عند الصوفية ألا يلتفت قلب الذاكر إلى الذكر في أثناء الذكر ولا إلى القلب. ويعبر العارفون عن هذه الحالة بالفناء. انظر: محمد علي التهانوي: موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج١، ص ١٧٠.

اجتماع القطط

كان هؤلاء الشيوخ لصوص دين محمد ﷺ، وكانوا جميعاً فئران بيت الدين ومخربيه. لكن لله قطعاً من عباده الأعزاء تقضي على هذه الفئران.

يجتمع مائة ألف فأر، ولا يتجرأون على النظر إلى قط، لأن هيبة القط تمنعهم من الاتحاد. والقطط مجتمعة.

وإذا كانت الفئران تجتمع، وتتعاون معاً، وإذا ضحى العديد من الفئران بأنفسهم، كان قط يصطاد فأراً في النهاية، وينشغل بأمره، وكان يقتلع عيناً من عيني فأر آخر، ويضرب الثالث لكن لا يقتله. فكان يهرب على أي حال، ما عدا الفأر الذي يمنعه خوفه من أن ينضم إلى الفئران والقطط مجتمعة.

صفة القلب

لا شك أن ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾^(١٢٤) هي صفة القلب ﴿وَيَنْخَطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾^(١٢٥). وخارج القلب في ﴿صُدُورِ النَّاسِ﴾^(١٢٦) مائة ألف وسواس وفزع وخوف.

(١٢٤) ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾. سورة آل عمران، جزء من الآية ٩٧.

(١٢٥) ﴿وَيَنْخَطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾. سورة العنكبوت، جزء من الآية ٦٧.

(١٢٦) ﴿صُدُورِ النَّاسِ﴾. سورة الناس، جزء من الآية ٦.

وهو مثل إبراهيم^(١٢٧) ينعم بعناية الحق وكمال القدرة في وسط النار، كما أن موسى^(١٢٨) كان ينشأ في كنف الأعداء.

(١٢٧) إبراهيم (الخليل عليه السلام): اسمه إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن سام بن نوح عليه السلام، وكنيته أبو الضيفان. ولد بغوطة دمشق في قرية برزة في جبل قاسيون، أو ولد ببابل.

خرج إبراهيم مع أبيه تارخ من أرض الكلدانيين إلى أرض الكنعانيين وهي بلاد المقدس ونزلوا في حرّان. أقام إبراهيم بحرّان، وكان أهلها يعبدون الكواكب والأصنام سوى إبراهيم الخليل وامرأته وابن أخيه لوط عليهم السلام. ودعا إبراهيم أباه إلى عبادة الحق، فلم يقبل، وتهدد إبراهيم وتوعده. ونهى إبراهيم أهل بابل عن عبادة الأصنام، وانتهاز فرصة خروجهم للاحتفال بعيدهم، فكسرها كلها بقدوم في يده. فعزم البابليون على القصاص منه، وجمعوا الحطب، ووضعوه في جوبة وأشعلوا فيه النار، ثم وضعوا إبراهيم عليه السلام في كفة منجنيق -صنعه كردي يدعى هيزن، وكان أول من صنع المجانيق- مقيّدًا مكتوفًا، ثم ألغوه في النار، فجعلها الله تعالى بردًا وسلامًا عليه. انظر: الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير: قصص الأنبياء، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، الجزء الأول ص ١٥٥ - ١٦٩.

(١٢٨) موسى: هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. كان فرعون قد سُلط على بني إسرائيل وهم سلالة نبي الله يعقوب بن إسحاق، وتجبر، وطغى، لعلمه بأن غلامًا سيولد من ذرية إبراهيم، وسيكون هلاك ملك مصر وأهلها على يديه، فأمر بقتل أبناء بني إسرائيل.

ولما شكا القبط إلى فرعون قلة بني إسرائيل؛ أمر بقتل الأبناء عامًا وأن يُتركوا عامًا، وولد موسى في عام قتلهم. فوضعت أمه في تابوت، وربطته في جبل، وكانت دارها متاخمة للنيل، فكانت ترضعه، فإذا خشيت من أحد؛ وضعت في ذلك التابوت، وأرسلته في النيل، فإذا زال الخطر، استرجعته.

وذاث يوم لم تربط أمه الحبل، فذهب مع النيل، ووصل إلى دار فرعون، فالتقطته الجواري، ووضعت بين يدي امرأة فرعون «آسية»، فلما رأت أنه أحبته حبًّا شديدًا، ثم بحثت عن مرضعة له، ولم يقبل ثديًا سوى ثدي أمه، فتركت آسية عندها، وأجرت لها الرواتب والهبات، وقد نشأ وتربى في دار فرعون. وأثاء الله الحكمة والعلم والنبوة والرسالة وهو في الأربعين من عمره. انظر: أبو الفداء إسماعيل بن كثير: قصص الأنبياء، الجزء الثاني، ص ٣٤٧ - ٣٥٤.

الرفيق قبل الطريق

بلى إن الرسول ﷺ كان يعلم إرشاد الله ولطفه، وكان يقول: الرفيق ثم الطريق (١٢٩).

أيها الأحمق!

لا يوجد شخص كان يُبصق على وجهه، فيمسح البصاق وهو صامت. قال كريم: لقد جاء، وكان يجلس في السوق، كأنه يريد إحراقه. أيها الأحمق، إنك تحترق الاحتراق بعينه، ويجوز أن تحترق هذا الاحتراق الذي لا تبقى بعده أبدًا.

بلى إن من أولياء الله قومًا يسقطون في نار الظاهر، ولا يحترقون، وقومًا محجوبون وكل أمورهم مستورة.

الضرب بالنعال

كان كريم علي يقول لي: الخارجي هو من يعادي عليًا رضي الله عنه. قال: وعلى هذا النحو يكون رجلًا، لكنه عدو.

قال علاء الدين: قلتُ له كذلك: إن كاره محمد يكون يهوديًا، لكنه يهودي مخنث، وهو كريم.

بلى إن المخنث لا يعترض على القلندرية، ولقد عادتُ أصحابي من أجله. ولم يفعل أمير المؤمنين عمر شيئًا مثل ذلك، ولم يقل كذلك. وهو يكافئني بهذا، وهو مريدي.

(١٢٩) الرفيق ثم الطريق: إشارة إلى الحديث: التمسوا الرفيق قبل الطريق، والجار قبل الدار. الدرجة: لا يصح ومعناه لطيف. أحاديث منتشرة لا تصح، الدرر السنية. dorar.net.

ذات يوم كان يضرب على ركبتيه يائساً أمامي، وحزنت عليه كثيراً، وكنت أفكر في تلك السفسطة التي كان يسفسطها، وانتابني العجز. من ثم أشاجر معه، وأضربه مائة ضربة بالنعل أو ألف. وقال هو: اضربني ضربة واحدة، لكنني أضربه مائة ضربة بالنعل.

البيت موحش

يقول تلاميذي: في ذلك الوقت الذي كنا فيه أطفالاً، لم يكن يشتم هذه الشتائم، ربما أصابه هوس، فكان ييدي الجفاء.

إنك لا تقترب مني، ولا تعانقني. إن تأثير الذهاب إلى البستان كان ينتج عنه هذا. وأنا أفكر قائلاً: حين أراه، أعانقه. وقد ذهب أنت، وصار البيت موحشاً للغاية، فقلتُ: أذهب، لكنني لم أذهب بسبب هذه المرأة، فماذا أفعل؟ هل أذهب وسرعان ما أعود؟ من ثم لماذا لا تذهب بسرعة؟ إما نسميه إنساناً، وإما نسميه مرارة، لأن مرارته تنشق، وقلبه يخفق. قلتُ: إنه بريء من كيميا^(١٣٠)، لكننا نعاونه.

(١٣٠) كيميا: هي كيميا خاتون ربيبة مولانا جلال الدين، وابنة زوجته الثانية كراخاتون. تزوجها شمس الدين بعد أن جاوز الستين من عمره، وكانت هي في الخامسة والعشرين. وعاشا في بيت أعدده لهما جلال الدين بجوار بيته. كانت كيميا امرأة جميلة وعفيفة، وحدث أن خرجت للتنزه مع جدة سلطان ولد ومجموعة من النساء من دون إذن شمس الدين، فغضب غضباً شديداً. ولما عادت كيميا إلى البيت، أصيبت بألم في الرقبة، وتوفيت بعد ثلاثة أيام. وبعد أسبوع من وفاتها سافر شمس الدين إلى دمشق في شهر شعبان سنة ٦٤٤هـ. انظر: شمس الدين أحمد أفلاكي: مناقب العارفين، بتصحیحات وحواشي وتعليقات بكوشش تحسين یازجي، دنیای کتاب، چاپ دوم، تهران ١٣٦٢، جلد دوم، ص ٦٤١، ٦٤٢، خسرو کرمانشاهی: كيميا خاتون وشمس تبریزی، سهم كيميا خاتون از زندگی باشمس kermanshahi.blogfa.com.

لا ينبغي أن يخل على نفسه هكذا. أتريد أن نعد لك أرزاً أم حامضاً؟
قال: أيها السيد، إنك لا تملك قدرين.

رحمك الله

شكا تاج الدين من أن الحاضنة كانت تجوعه. فقلتُ: إذا جوعته
الحاضنة، فأمه موجودة، وهي الأم الأصلية.

قل اسمي، كيف أعرف أنا اسمك، ولا تعرف أنت اسمي؟ يقولون
له: هو نفسه الذي جاء، هو نفسه. لا تخف، قل بلى هو نفسه. تسعل
فنقول لك: يرحمك الله. فلا تسعل مرة أخرى يرحمك الله.

كلاهما واحد

أغلب خاصة الله تعالى هم أولئك الذين خفيت كراماتهم، فلا تظهر
لأي شخص، لأنهم مستورون.

ذلك الذي يتصف باللطف^(١٣١) كله هو ناقص. ولا تليق هذه الصفة
بالله تعالى أبداً، وكونه اللطف المحض، لأنك بهذا تنفي عنه صفة القهر،
والله تعالى يجب أن يتصف باللطف وبالقهر أيضاً. ولو أن كليهما واحد
في الحقيقة.

(١٣١) اللطف والقهر: اللطف في اصطلاح الصوفية تعني: تربية المعشوق للعاشق بالرفق
والمؤاساة، حتى تحصل له بالكمال قوة ذلك الجمال وطاقته.

ومرادهم من القهر: تأييد الحق بإفناء المراتات، ومنع النفس عن الرغبات، من غير أن
يكون لهم في ذلك مراد. وقالت طائفة: إن الكرامة هي أن الحق تعالى يرد العبد عن مراد
نفسه إلى مراده، ويقهره بغير مراده، بحيث إذا ذهب إلى البحر في حال الظم، يجف
البحر. د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص ١٤٥، ١٥١.

درء المفاسد

يلزم مثل هؤلاء القوم رجل حازم مثل محمد ﷺ، ورجل شجاع مثل علي رضي الله عنه.

كان الرسول ﷺ يسأل كل واحد من الصحابة عن طبعه ذات يوم. فالشدة لا تأتي من أبي بكر. وكان كل واحد قد اتصف بصفة من صفات محمد ﷺ. فكان يسألهم واحدًا واحدًا: ماذا تفعل إذا أصبحت خليفة بعدي؟ قال عمر رضي الله عنه: أعدل، وأعطي كل ذي حقه كذلك. قال الرسول ﷺ: إنك تقول الصدق. ويجلد عمر ابنه من أجل إقامة الحد^(١٣٢)، ودرءًا للمفاسد كذلك.

وسأل الرسول ﷺ أبا بكر: وماذا تفعل أنت؟ قال: أستر العورات ما دمت أستطيع.

(١٣٢) إشارة إلى الحديث: روى الإمام مالك عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد، قال: خرج علينا عمر بن الخطاب، فقال: إني وجدت من فلان ريح شراب، فسألته، فزعم أنه شرب طلاء. وأنا سائل عنه، فإذا كان يسكر جلدته الحد، فجلده الحد. أخرجه مالك في الموطأ. وقال أبو عمر بن عبد البر: هذا الإسناد أصح ما يروى من أخبار الأحاد، وقال الألباني: صحيح الإسناد. وقد اختلف الناس على أي أبناء عمر كان هذا الجلد. ولم يثبت أن هذا المجلود مات تحت سياط عمر. islam web.net.

حفنة الزبيب والبندق

حكوا حكايات غريبة منها: أنه كان يحمل غاشية الشيخ^(١٣٣)، وهو لا يصدّقه ولا يعترف به. ذلك لأن الشيخ فلان جاء إليه، وسلم عليه، لكنه لم يلتفت إليه. ثم جاء في إثره فلان الأمرد، وسلم، فبالغ الشيخ في الاهتمام به. من ثم أنكر عليه ذلك، ولما خاف من إعراض الشيخ، جاء إلى بيته، ودخل. كان الشيخ يلعب الشطرنج مع ابن الرئيس، فأنكر عليه ذلك، وعاد، فرأى المصطفى عليه السلام في المنام، فأراد الأنس به، لكن المصطفى عليه السلام أشاح بوجهه عنه، فحزن. قال المصطفى عليه السلام: كم أسأت إلينا وعيبتنا! قال: يا رسول الله، كيف أسيء إليكم؟ قال الرسول عليه السلام: أسأت إلى حبيينا، والمرء مع من أحب^(١٣٤) يصدق في حق حبيب مثله، والمؤمنون كنفس واحدة^(١٣٥) تصدق في حق رجل مثله. ووضع المصطفى

(١٣٣) الشيخ: المقصود الشيخ أحمد الغزالي، وهو من أصحاب الشيخ أبي بكر النساخ، وله مؤلفات قيمة ورسائل لا نظير لها منها: رسالة السوانح، وتوفي سنة ٥١٧هـ، وقبره في قزوين.

انظر: نور الدين عبد الرحمن جامي: نفحات الانس من حضرات القدس، ص ٢٤٤، ٢٤٥. شمس الدين تبريزي: مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، ص ٢٨٥.

(١٣٤) المرء مع من أحب. الراوي: عبد الله بن مسعود. المحدث: البخاري.

المصدر: صحيح البخاري. خلاصة حكم المحدث: صحيح.

الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

(١٣٥) المؤمنون كنفس واحدة: إشارة إلى الآية: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةٍ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾. سورة لقمان، آية ٢٨.

حفنة من الزبيب والبندق في طرفه. ﷺ

لما استيقظ، أسرع إلى بيت الشيخ، فرآهما يلعبان الشطرنج معاً، فأنكر ذلك على الشيخ. كان الزبيب في طرفه، وأراد أن يعود، فنادى عليه الشيخ قائلاً: إلى متى؟ ولتخجل من السيد (الرسول ﷺ) في النهاية، فدخل، وتوسل إلى الشيخ. قال الشيخ: ضع حفنة الزبيب تلك في ذلك الطبق، فقد أخذها المصطفى ﷺ منه.

إن الشيخ مباح في هذا الوقت، فكيف يكون حاله وهو يستحم أسبوعياً في الحمام، ويضع قدماً في حجر غلام، ويلقي بالأخرى في حجر ابن الرئيس، ويشعل مجمرة النار، ويقوم بالشواء، ويأخذ قُبلة من هذا وقبلة من ذاك! فماذا بقي في النهاية؟ وقد كان هذا قوله في التوحيد، وبداية وعظه فوق المنبر:

شعر

ذلك المعشوق الذي هو جمال مجلسنا وزينته

غاب عن مجلسنا، ولا أعلم أين هو

قده سرو، وقامته ممشوقة

وقد قامت قيامتنا من دون قامته.

أمر الرئيس في الحال بإحضار الابن، فجاء، وكان الورد يكلل رأسه، فسكب الشيخ الماء على رأسه، وخرج، واستعد للوعظ، وبدأه، وقد جلس ابن الرئيس أمامه.

عندي كلام

كان يقول في ذلك اليوم: لقد زادك ألم العين هذا صفاء.
أردتُ الكلام مرة أخرى عن السرقة، وسكتُ. لكن صدري كان قد احتدم، فقلتُ: لا أتحدث الآن.
يا للعجب! إن هذا الشخص صاحب الذوق يكف عن الكلام بمجرد أن يعتريه حال الذوق.

وقد بقي عندي كلام. ونهضت أنت بسرعة، ووجدتُ أنا شخصاً آخر، لم يفهم، فكنت أسهب في الحديث معه. وكان الاضطراب قد أصابه، والحيرة قد تملكته. وعلى هذا النحو كان صبري على الرفيق والمعشوق، فكيف يكون صبري على الغريب؟

كان ميلي إليك قوياً منذ البداية، لكنني كنت ألحظ في مستهل كلامك أنك لا تقبل هذه الرموز في ذلك الوقت، فإذا كنت أتحدث، لما تحملت أنت. ولم يكن هذا الحال يعتريك في ذلك الوقت.

ما المقصود؟

يقول لي كريم علي: إن جماعة تتهمني بأنني مبتدع. قلتُ: إنهم يقولون الصدق، فأنت مبتدع! قل لي إذن: ما حقيقة الصلاة؟ في البداية يعتقد قوم من الفلاسفة أن طأطأة الرأس والركوع عيب ونقصان، وبالمصادفة كان هذا نفسه غرضي ومقصودي، فما المقصود؟

ولقد ذكرتُ عن الفلاسفة أنهم ليسوا مؤمنين، من ثم دعني أسمع ما يقول. إنه يتحدث من دون وجه حق. وأنت تعلم أصل هذا الكلام الذي قاله، وأنه قال: كان هذا مقصودي. من ثم كيف يكون هذا الكلام لمثلِكَ؟ أيليق هذا بك؟

إنني لا أقول لشخص إنه فاسق، ولا أنعت شخصًا بالفسق، أو بالتفكير في الفسق، ولا أَسْتَغْفِرَ لهم هذا الاستغفار كي يطهروا بواطنهم من التفكير في السوء، بل إنني أقول: قدّم هذا الشيطان المعرفة بعينها، ويمنعها، لأنك أنت المقصود.

وينبغي عليك أن تفرغ الباطن من أجل تلك المعرفة^(١٣٦)، وتطهره، فليس هناك شيء قط أسمى من المعرفة.

يعترف في بعض الأوقات، وتدمع عيناه، ويطلب العمامة. ويقول في أوقات أخرى: لا تساونا بحمار، ولا تتفهنّا، وقد اتخذناك مفتيًا للعالم.

يقول هريوه: أرغب في تجربة هذا الطعام الحسن. وما دمت تتذوقه،

(١٣٦) المعرفة: المعرفة: العلم الذي لا يقبل الشك إذا كان المعلوم ذات الله تعالى وصفاته. ومعرفة الذات أن يعلم أنه تعالى موجود واحد فرد وذات وشيء وقائم ولا يشبه شيئًا ولا يشبهه. وأما معرفة الصفات: فأن يعرف الله تعالى حيًّا عالمًا سميعًا بصيرًا مريدًا متكلمًا إلى غير ذلك من الصفات.

وقال أبو بكر الوراق: المعرفة معرفة الأشياء بصورها وسماتها، والعلم علم الأشياء بحقائقها. وقال أبو سعيد الخراز: المعرفة بالله هي علم الطلب لله من قبل الوجود له، والعلم بالله هو بعد الوجود، فالعلم بالله أخفى وأدق من المعرفة بالله. انظر: محمد علي التهانوي: موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج٢، ص ١٥٨٤. د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص ١٦٥.

تدرك كيف تكون صنعتي! لكنك امتنعت، وقلت لكريم: لا تشبهه بمثل هذا القائد، وقد طرح طرفه على عنقه وكُمّه.

وقد كان خادمًا لي، وكنت أضربه حتى جحظت عيناه، فكان المسكين يصرخ، ويقول: خرجت عيناى من رأسي.

كان يضربه بنعله على رأسه قائلاً: يجب أن تخرج. وكان قد قال لكريم: اجلس. وكان قد قال: لو يقول لك هكذا، قل: أنا راضٍ.

أنا مطمئن

قالوا لذلك الرجل في جراحة: إن ابنك أجمل من مائة فتاة بكر، وهو ينام عند فلان. فقال: إنني أشعر بالاطمئنان في ذلك اليوم وفي تلك الليلة التي يبيت فيها عنده، إنني لا أتهمه بأي فساد، ومهما كان الأمر، فإنه تاب. قلتُ له: ألم أقل لك؟ قال: بلى، لقد أسأت. من ثم ماذا نفعل؟ وقد سلكوا الطريق إلى حجرتنا. لا ينفع أن نفسق، ولم أفعل مهما كان الأمر، وإلا فإنهم ينقضون توبتي.

ومثل هذا الشخص يعرف الخالق الفعال، وقد كان يأتي إليه مصورًا محسوسًا، فيتحدث إليه، ويتبادل معه الرأي والتدبير. كيف يحدث هذا؟ محال أن يكون هو الله. لكن ذلك الشخص كان عاجزًا مقهورًا.

أين هو؟

لو يحملوني إلى باب الجنة، أنظر أولاً هل هو موجود فيها؟ إذا لم يكن موجودًا، أقول: أين هو؟ ألا يلزمني أن أراه عيانًا؟ وإذا لم يكن

موجودًا، ذهبت إلى الجحيم، فیسألني الجحيم وقد عاينته مرارًا، فأقول: لا شأن لي بك، امنحه لي، وأنت تعلم. كل شيء سيقوله بعد هذا، يعلمه. لا شأن لي بذلك الأمر أيضًا. مضى ما قلته، وينبغي أن يكون الأمر كذلك من ناحيته.

الباطن خالٍ، يُلقى الحمل على الباطن، فيؤمن. وذلك الذي لا ينبع إيمانه من داخله، لا يؤمن، ولو تُظهر له ألف معجزة.

لم يرد أبو بكر رضي الله عنه أيَّ معجزة. قال المصطفى ﷺ: أنا الرسول، فقال أبو بكر: آمنا وصدقنا^(١٣٧).

السم ترياقِي!

قل لذلك الشيخ: لماذا تنظر إلى هذا الرجل الفاسق؟ إن الناس يسلمون على اليهود. لكنه لم يسأل، ونحضره نحن بمائة حيلة وإغراء. وعلى هذا النحو تنظر أيها السيد، فماذا وجد منك؟

إنهم يقيسون على قوتهم، وعلى أنفسهم، ولقد تفرق الناس، فننادي في الجامع قائلين: من فرق جمع هؤلاء الناس؟ في النهاية يجمعهم الشخص نفسه. فما هذا العجز؟

إنهم يحتالون بالعجز، والأمر غير ذلك، والفتح في غير ذلك. إنني أقول: السم ترياقِي، ووبالكم من هذا المأكل في رقبتِي.

(١٣٧) قال أبو بكر: آمنا وصدقنا. إشارة إلى الحديث: كان رسول الله ﷺ يقول فيما بلغني: ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة، ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة، ما عكم حين ذكرته له، وما تردد فيه. islamweb.net.

جزيا مؤمن

إنكم تستشهدون بالآية: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (١٣٨). ولو أن لي وازرة لا أخفيها. ومن ثم إنني لست آثمًا، يحذر جحيمي مني، ويخشاني، ويقول: جزيا مؤمن فإن نورك أطفأ ناري (١٣٩). أقول: إن حبيبي عندك، فامنحه لي، لا شأن لي بك، أنت تعرف نفسك. إنه قول الرسول ﷺ، هل أنقضه؟ وكذا نقضته، وسلكت مسلكي، وظهر أثره، ألم تر؟ ألا ترى؟

من ثم لو يقول الآخرون ذلك، يميزونهم إربًا إربًا. إنه لا يفهم الكلام، فلماذا يتكلم كلامًا لا معنى له من دون وجه حق، ومن دون علم؟ إنه ليس كلامه، والدليل على ذلك أنه لا يعرف التصريف، ولم يتعلم التصريف.

والتصريف هو تصريف الأفعال والكلمات. لكنني أعكس التصريف وأقلبه وأبدله.

احتجب العقل، وخرج من الباب، ووقف بعيدًا، ولا يجروء على أن يتقدم خطوة.

قال: إنه لا يعلم شيئًا عن النحو! إن ذلك الشخص يعلم النحو، وهو ينحو، والله ما دام لا ينحو، فإنه لا يعلم شيئًا عن النحو.

(١٣٨) ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾. سورة فاطر، جزء من الآية ١٨.

(١٣٩) جزيا مؤمن فإن نورك أطفأ ناري: إشارة إلى الحديث: تقول النار للمؤمن يوم القيامة:

جزيا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي. الراوي: يعلي بن أمية. المحدث: الألباني. المصدر:

السلسلة الضعيفة. خلاصة حكم المحدث: ضعيف.

جفاء المحبة

إنني أجافي ذلك الشخص الذي أحبه الجفاء كله. لكن جفائي لا يجاوز الحد، بل إنه حسن وسهل.

في الدعوة قهر ولطف، لكن في الخلوة^(١٤٠) اللطف كله.

وقد انتابني وسواس أنه لا يريد رحيلي. والذهاب إلى البستان لا يجدي، لأنه لا يمكن مشاهدته في البستان. وأيضًا إنه يخشى أن يفشي الشلبي هذا السر هناك، ويكون إمكان رؤيته درب من العبث.

فلتبق أيها الفاسق!

قالوا: ذهب الفاسق. فقال: لماذا يذهب الفاسق؟ من ثم اسمح لي وقل: امض. يقول: انتبه، انتبه، ويسخر مني! ما ذلك القول؟ لقد أنعم الله عليّ بنعمة، فكيف أؤدي شكرها؟ لماذا تقول ذلك الكلام؟ كيف أعيش؟ جزاك الله خيرًا.

(١٤٠) الخلوة: الخلوة محادثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره. هذا حقيقة الخلوة ومعناها. وأما صورتها فهي ما يتوسل به إلى هذا المعنى من التبتل إلى الله، والانقطاع عن الغير. والخلوة عند بعض الصوفية هي العزلة، وعند بعضهم غير العزلة، فالخلوة من الأغيار، والعزلة من النفس، وما تدعو إليه، ويشغل عن الله. وقال القشيري: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول: من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي أن يكون خاليًا من جميع الأذكار إلا ذكر ربه، وخاليًا من جميع الإيرادات إلا رضا ربه، وخاليًا من مطالبة منفس من جميع الأسباب، فإن لم يكن بهذه الصفة، فإن خلوته توقعه في فتنة أو بلية. عبد الكريم بن هوازن القشيري: الرسالة القشيرية ص ٨٥. د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص ٨٢.

هذه المرأة التي تقول: إنني لأريدك، لا تنفعني. ولو تمضي هذه
المرّة على كل حال، آتي بشاهدين، وأتزوجها، وانقضى الأمر.

وقد شغلني أن قلب المرأة تعلق بي، فلماذا أسيء إلى تلك المرأة
المسكينة؟ ماذا تعرف هي؟ وقد انقضى أمرها.

هذه المرأة التي أعقد عليها، وأقرب منها، وتفعل هكذا، هي امرأة
حسنة، فلا تنظروا إليها نظراتكم هذه. فمن نظرت إليه، ولامس جسدي
جسده، ولم يكن عظيمًا، ولم يكن عزيزًا؟ هذا لم يحدث مطلقًا.

ماذا يفعل الفاسق؟ قال: يتنزه. قال: لماذا يتنزه الفاسق؟ وكيف
يستطيع معاشرّة هؤلاء القوم؟ وكيف يستطيع البقاء بينهم؟

تقولين كذلك: إنه زوجك، وإنني لا أعلم لماذا ذهب هذا الزوج
سيئ الطبع من دون إذني؟ كيف يتجرأ على أن يفعل هذا معك؟ أبلغه
حاجتي يا مولانا، وقل له: تعال لحظة، حتى أقول له كلمة أو كلمتين.
قلتُ: إنني مضطرب، أجيء لحظة؟ قال: يشعر الأحباب باضطراب
الأحباب.

تشفعتُ لدى السيد بأن يمهلّه عشرة أيام، حتى يستأجر منزلًا،
ويرحل. فقال له: ابقَ شهرين، قل: ابقَ ستين، قل: ابقَ طوال العمر، ولا
تؤذنا. قل: ابقَ ولا تفضحنا.

ما شأني بالأئمة؟

ذلك الأمر غير واضح، فلا تتشبه به، لا يجيز الأئمة ذلك. من يكون الأئمة؟ ما شأني بالأئمة؟ نحن أنفسنا أئمة. قال: لا تقل هكذا، فأنتم أئمة الآخرين، والآخرون أئمة لكم.

ولتحدث قليلاً عن المقرئين. فكان يقول: هناك قوم يقرأون آية الكرسي على رؤوس المرضى، وقوم يتدبرون آية الكرسي.

على قارعة الطريق

كان ملك يأتي في جلبة، فخرج متشرد، وشم الملك، وسبه على قارعة الطريق. سمع الملك السباب، ولم يخبر شخصاً. فإذا كان يخبر شخصاً، لكانوا يمزقون المتشرد إرباً إرباً.

عبر الملك الطريق، وقال: لنذهب من هذه الناحية. قالوا: لماذا أيها الملك؟ قال: إنني أرغب في ذلك.

من يقهر الملك؟ أيقهر متشرداً؟ ربما كان هو أيضاً متشرداً في الأصل، فيتشاجر مع متشرد!

إن الملوك يعاقبون من يتمرد مثل فرعون والنمرود. ﴿وَلْتَسْمَعْ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً﴾ (١٤١).

(١٤١) ﴿وَلْتَسْمَعْ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً﴾. سورة آل عمران، جزء من الآية ١٨٦.

مثلما كان محمد أميرجي يقول: هكذا يخرج شخص، ويقول كذا وكذا: حماته كذا، وزوجته كذا، وجاريتَه كذا. ولم يترك أحدًا لم يعيَّه، وهو يريد بدل الزوجة عشر زوجات.

يدخل علي، رجل طيب القلب، ويقول هكذا في أهل بيته. فكنت أمسك لحيتَه، وأنتفها شعرة شعرة، وأفعل معه شيئًا يأخذ الآخرون العبرة منه.

إنهم لا يشهرون بزوجات المسلمين ونسائهم. وإنني مهموم بحسن سمعة زوجاتكم وأبنائكم. وحين ترضون عني، لا أعلم.

إذا قلتُ: بلى، تقول: كرّر القول. فماذا قلتُ حتى قلتَ نعم، وما معنى ذلك؟

كان هذا هو المعنى وكفى. وإن تباطأتُ في قول نعم، تقول: لماذا لا تقول نعم؟ ما وجه اعتراضك على هذا؟ أنا نفسي أعترض، فلو أن لك اعتراضًا، أفصح عنه. وإذا كان معوجًا أقومه.

وهناك شخص يكون قالبًا لأمر الأستاذ أيضًا، ويكون الأستاذ الروح، وليس هناك سبيل إلى هذا.

نص عربي

لي معك عتاب، وكنت أذكره مع فلان، وهو يعتذر بكذا. فقلت:
أنا لا أسكن بهذا، حتى أرى وجهه. أخذوا، وإلا أؤدي مولانا إلى موضع
ما تلقوه. وأنا لا أبالي بالسيف. يعرفوني لا أعمل هكذا لمروتي، لا
أعمل كما عملتم، بل إذا وديته.

العتيق

لم يكن الصحابة يخالفون المصطفى صلوات الله عليه، وكانوا
مصدقين لرسالته وشغوفين به. ومع ذلك لم يروِ العتيق^(١٤٢) أكثر من
سبعة أحاديث. وإذا كان الصحابة يسألون الرسول ﷺ، كانوا يفيدون منه
فوائد جمّة، وكان ينكشف لهم الكثير من الأسرار. ولهذا تتضح فائدة
كلامنا.

(١٤٢) العتيق: لقب أبي بكر الصديق ٥٠ ق هـ - ١٣ هـ. وسُمّي العتيق لأن الرسول
ﷺ قال له: أنت عتيق الله من النار. فقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: دخل أبو بكر
الصديق على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: أبشر، فأنت عتيق الله من النار.
وقيل: سُمّي عتيقًا لجمال وجهه، أو لأنه كان قديمًا في الخير. وقيل إن أم أبي بكر كان لا
يعيش لها ولد، فلما ولدته، استقبلت به الكعبة، وقالت: اللهم، هذا عتيقك من الموت،
فهبه لي.

.ar.wikipedia.org

شطحات الصوفية

«أنا الحق»^(١٤٣) ذلة شديدة، و«سبحاني»^(١٤٤) قول أكثر غموضًا. لا

(١٤٣) أنا الحق: يقول الحسين بن منصور الحلاج: «وفي الأزل حيث كان الحق ولا شيء معه، نظر إلى ذاته فأحبها، وأثنى على نفسه، فكان هذا تجليًا لذاته في ذاته في صورة المحبة المنزهة عن كل وصف وكل حد. وكانت هذه المحبة علة الوجود، والسبب في الكثرة الوجودية... ثم شاء الحق سبحانه أن يرى ذلك الحب الذاتي مائلًا في صورة خارجية يشاهدها ويخاطبها، فنظر في الأزل، وأخرج من العدم صورة من نفسه، لها كل صفاته وأسمائه، وهي آدم الذي جعله الله على صورته أبد الدهر. ولما خلق الله آدم على هذا النحو عظمه، ومجّده، واختاره لنفسه. وكان حيث ظهور الحق في صورته فيه وبه، هو هو». وعلى هذا النحو جعل الله تعالى آدم صورة من نفسه، لها كل صفاته وأسمائه، ومجلى تجلى فيه الحق، وأصبح هو هو. ولما كان الحلاج ابن آدم، فقد شعر أنه هو الحق أيضًا، وقال:

أنا الحق والحق للحق حق لا بس ذاته فما نَمَّ فـرق

ولما قال الحلاج أنا الحق، ثار عليه الفقهاء، واتهموه بالكفر والحلول والاتحاد، فقال:

وظنوا بي حلولًا واتحادًا وقلبي من سوى التوحيد خال

كما قال: إن أحدًا لا يستطيع أن يقول أنا على الحقيقة إلا الله وحده، وأنا سر من أسرار الحق، ولست أنا الحق.

أنا سر الحق، ما الحق أنا بل أنا حق، ففرّق بيننا

والحلاج لما فني عن نفسه، وبقي بالحق، واستغرق في الفناء في الذات الإلهية، نطق بحقائق التوحيد، وظن أنه الحق، فقال:

أفئنتي بك عني يا غاية الممتني

أدئنتي منك حتى ظننت أنك أني

وقد أرجع الغزالي قول الحلاج «أنا الحق» إلى فرط المحبة وشدة الوجد وغلبة السكر. انظر: د. محمد جلال شرف: الحلاج الثائر الروحي في الإسلام، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ١٩٧٠م، ص ٥٤، ٦٢-٦٤. د. منال اليمني عبد العزيز: سيرة البلبل «بلبل» نامه» لفريد الدين العطار النيسابوري، دراسة وترجمة وتعليق، مكتبة الثقافة الدينية ٢٠١٤م، ص ١٠٨-١١٠.

(١٤٤) أنا أعلم ممن على وجه الأرض. إشارة إلى الحديث: إنه بينما موسى عليه السلام، في قومه يذكرهم بأيام الله، وأيام الله نعمائه وبلاؤه، إذ قال: ما أعلم في الأرض رجلًا خيرًا

يوجد شخص من البشر أبداً لا يتصف بقدر من الأنانية والغرور.

قال موسى: أنا أعلم ممن على وجه الأرض. وقد داخله شيء، فقال هذا. وأحيل إلى الخضر عليه السلام، فبقي معه عدة أيام، وزال عنه ذلك الشيء.

وقال محمد ﷺ لعلي رضي الله عنه: لماذا وافقتني في صوم الوصال؟ فأصابك الضعف على هذا النحو. إنني «لست كأحدكم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» (١٤٥).

يقول المحققون: كان هذا هو سبب نزول الآية: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ (١٤٦). يعني لا تقل هكذا بسبب شدة الغرور، وأطح الغرور عنك، وقل هكذا. فقال، حتى لا يتكرر خاطره العطر: يوحى إليه. وهي

وأعلم مني، قال: فأوحى الله إليه: إني أعلم بالخير منه، أو هو عند من هو، إن في الأرض رجلاً هو أعلم منك، قال: يا رب، فدلني عليه...

الراوي: أبي بن كعب. المحدث: مسلم. المصدر: صحيح مسلم.

خلاصة حكم المحدث: صحيح. الموسوعة الحديثية، الدرر السنية dorar.net.

(١٤٥) لست كأحدكم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني: إشارة إلى الحديث: نهى رسول الله ﷺ

عن الوصال، قالوا: إنك تواصل، قال: إنكم لستم كهيتي، إن الله جبي يطعمني ويسقيني.

وقال يزيد: إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني.

الراوي: أبو هريرة. المحدث: شعيب الأرناؤوط. المصدر: تخريج المسند.

خلاصة حكم المحدث: صحيح.

التخريج: أخرجه البخاري ومسلم والنسائي في السنن الكبرى، وأحمد واللفظ له.

الموسوعة الحديثية: الدرر السنية، dorar.net.

(١٤٦) ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾. سورة الكهف، جزء من الآية ١١٠.

نفسها ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ (١٤٧). وهذه الآية هي تلك الآية بعينها. وكذلك هذا الحديث **لست كأحدكم**. يعبر عن تلك الآية بعينها: ﴿وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾ (١٤٨).

لكنه يُعَمِّر الدنيا بالتعبد في غار، وبالعقلاء. ولقد انصلح أمر العالمين بهذين الاثنين (العبادة والعقل). وهو يهيمن على العالمين طوال الوقت. وأنت تمد يديك ورجليك للتقليد غافلاً؛ وهو ينكر عليك ذلك، وينظر إليك بنفسه، ويعمل بخفة ومهارة.

الجميع عاشق لكلمة الاستحسان «ما أحسن!» حريص عليها. والنظر إليه هو النظر إلى صفاته. لا تجعل حاجتك سوى الرجاء. مطلوبك موجود حيث يوجد طلبك، والنظر إلى النجاسات وظلمة البطن والحجب، وكذلك الظلمات والصعوبات جميعها مجرد لعبة. تقهر البعض بصورتها، فاستيقظ من نوم الغفلة.

سوف أغسل رأسي!

ينبغي قول الوعظ غداً، والأمر صعب. لقد فُتِح الباب، وليست هناك حيلة. إذا أغلقت الباب، فهناك صياح وعويل! ليتهم كانوا يفيدون من ذلك الوعظ.

لقد قيل ذلك الكلام كله صريحاً وعن طريق الكناية، وكأنهم لم

(١٤٧) ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾. سورة الكهف، جزء من الآية ١١٠.

(١٤٨) ﴿وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾. سورة الكهف، جزء من الآية ١١٠.

يسمعوا النصيحة قط. وهم لا يفهمون ظاهر الكلام ولا المقصود منه، وما داموا لا يفهمون الكلام، فكيف يعملون به؟ والعمل بغير علم ضلال. سأذهب حتى أغسل رأسي، فماذا ستفعل أنت؟ ستذهب أم ستبقى؟

متلون أم غير متلون؟

ماذا يفعل هؤلاء الذين يذهبون إلى هذه الزوايا من أجل الخلوة الأربعينية؟

إن لا إله إلا الله عمل وليس قولاً باللسان. إنني لا أعلم، هل حصل على هذه الثمرة؟ إنه يطلق عليه متلوناً^(١٤٩)، وهو يريد أن يقول له: غير متلون. إنه كلامه ويغير كل ما يريده.

الخلاصة: إنه عبد الله، يعترية الحال، وهو أستاذ المقال. لا أقول: أنا. بل أقول: هو، فمن هو إذن؟

صاحب الرباط

ذلك الشخص الذي يمتلك رباطنا رجل مؤذٍ، يتأذى منه الجميع، وأنا واحد منهم. فقد أجروه له لمدة سنة. وهم يريدون الآن أن يؤجروه

(١٤٩) التلوين: التلوين صفة أرباب الأحوال... فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين، لأنه يرتقي من حال إلى حال، ويتنقل من وصف إلى وصف... وصاحب التلوين أبداً في الزيادة... ويُقال إن العبد ما دام في الترقى فصاحب تلوين يصح في نعمته الزيادة في الأحوال والنقصان فيها، فإذا وصل إلى الحق بانحناس أحكام البشرية، مكنه الحق سبحانه بأن لا يرده إلى معولات النفس.

عبد الكريم بن هوازن القشيري: الرسالة القشيرية، ص ٦٩، ٧٠.

لآخر يزيد الإيجار، وهم يستطيعون. من ثم ماذا يصير ذلك العقد؟
 إذا جاء، وقال: لا يلزمني هذا الرباط، لأنهم يزيدون الإيجار عليّ،
 ولا يناسبني هذا، فخذ، يكون هذا فسخاً للعقد، ولكنه لا يملك الدليل
 على أنه قد فسخ العقد، وقال هذا الكلام، فماذا يفعل؟ وما حيلته لو أنهم
 يفسخون عقد الإيجار هذا؟ ولهذا ولذاك تتضح فائدة كلامنا.

بلى لما تغرب الشمس عن شخص

يستعين بالسراج بدلاً منها

نص عربي

فلما رأيت تحفظها لكلامي، أشغلتها بكلام آخر. إنك لا تصلي،
 وقد كنت تصلي قبل هذا، وذلك من علامة السعادة الاشتغال بالصلاة
 والعبادة. شيني تشويشك، لو اتفق شيئاً فراقك؛ لكان من جهة هذا
 التشويش الذي يقع، ذلك فإذا جئت ثمة من يحك رجلي، ومن يغمزني.
 يفترون على الأنبياء الأشياء التي لا يجوز على سبط يعقوب
 يعشق على ابن هو معدن النجاسة. وعليه السلام حرك خاتمه مرة. قال
 ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ (١٥٠). ويحال في زمرة الأنبياء الذي
 تبدل عينيه لأجل الابن. ذلك كان مرآة له يرى منه الحق، كما يتحدث
 عليه الصلاة والسلام لعائشة، لهذا سُمِّي أحسن القصص. وأهل الزمان
 نقلوها إلى عالم الشهوة وسموها.

أما رأيت ذلك الواعظ إيش قال في حق داود عليه السلام والأنبياء،
 والأقرع قاعد مستمع. ولو كان هؤلاء لا يحضر مجلسكم، ويقول: لهذا

(١٥٠) قال ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾. سورة المؤمنون، جزء من الآية ١١٥.

يفتح هذا الطريق حتى لا يلتبس الوعظ منا، أين الوعظ؟ أين التالي لهذا الوعظ؟ أو نبي، أين هؤلاء؟ يطمع أحد، أين هذا الأحد الذي يخلق منه أن ألقوا؟

قال لهم: عظوا مثل ما يعظ فلان حتى أخى والواعظون. إيش يقول؟ يسمى هذا واعظ؟ لو كنت آدمياً ما رفعت رأسك من ذلك المدرسة. لو كان آدمياً، لا بل يقول: من مثلي وأنا قاضي القضاة في الروم والشام، ومقرب عند الخليفة، وجيد في الرسالة، والعلماء يتماسون تحت ركابي، وقع في هذه الظلمات.

لما تعلم شيئاً!

نُحَدِّث ليلي بحديث فرهاد وخسرو وشيرين^(١٥١). إنهم لو يتحررون، تصير أعمالهم حسنة.

حديث الخادم الذي منعه سيده في اليوم الأول، وفي اليوم التالي منحه عدة دنابير ودهناً وحلوى. فقال: أوامرني بأداء خدمة. قال: كذا

(١٥١) فرهاد وخسرو وشيرين: هناك قصة تتحدث عن الملك الساساني خسرو برويز ٥٩٠هـ - ٦٢٧هـ ومعشوقته الأرمينية شيرين، وزواجه منها بعد سلسلة من الأحداث اختلفت من كاتب إلى آخر. أما فرهاد فيقال إنه شخصية خيالية ابتكرها نظامي م ٥٩٥هـ في منظومته «خسرو وشيرين»، لأن ذكره لم يرد في كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري، أو كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للثعالبي، أو في شاهنامه الفردوسي. وفرهاد عند نظامي مهندس بارع، نافس خسرو في عشق شيرين، فغار منه خسرو، وأرسل إليه من يخبره كذباً بوفاة شيرين، فألقى فرهاد بنفسه من أعلى الجبل، على أمل أن يلتقي بشيرين بعد العدم. د. منال اليميني عبد العزيز: عبد القادر الجيلاني، الغوث الأعظم، الديوان الفارسي، ترجمة عن الفارسية ودراسة وتعليق، آفاق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٦م، ص ١٠٦، ١٠٧.

وكذا. ولا تشتهي أي شهوة، ولا تطلب شيئاً. قال: ذلك هو عمل الخادم.
نظرت في ذلك اليوم، وقلت: ماذا يفرق هذا الحال عن حال الشهوة؟
ليته كان قد تعلم شيئاً!

كانوا يتركونني في المدرسة، ولم أتعلم، نعوذ بالله، وأهذي إلى هذا
الحد. ونعوذ بالله إذا كنت قد تعلمت شيئاً.

كان شهاب يقول: هذا غلام صغير. فقلتُ: أذهب في المساء،
وأتعلم. قال: نعوذ بالله، لا تذهب. وكان يشغلنا بأشياء بسيطة.

مع جنوني هذا كله، وضعتُ العديد من العقلاء في إبريق الفقاع.
ومع جهلي هذا كله، وضعت العلماء تحت إبطي.

كانت هناك بشارة في داخلي، وكأني كنت أظير، ولم أكن فوق
الأرض. أنت تتعلم، ولا تعلمني سطرًا في أي يوم. وقد أرسلك أبوك
لتتعلم، لأن الزمن سيئ، والناس يطمعون في الولد، ولا يخشون الله.
إنك تملك بحمد الله في هذه الساعة ما يكفيك من الفنون. وكنتُ
أقول: ليس هناك أي طريق يؤدي إلى الديار.

«بب بب» تعني أنني عالم صاحب فنون. كنت أتحدث عن الفنون،
فادعى هذا الادعاء. إنني لا أشتري حمارًا ولا يقطينًا. وقد تفوقنا في
مكتوبات كثيرة، لكن مولانا تفوق علينا. ما دام يملك كل شيء موجود
على كل حال، فإنه لا يخلص لك ما دمت لا تخلص له.

سحاب الحكمة

قال عليه السلام: إذا جاع العبد مطر سحاب الحكمة من قلبه على
لسانه (١٥٢).

شعر

اعلم أن كل من صار المطبخ قبلته اليوم
صار الجحيم مقره غدًا
أيها المذبذوح، سل الحلقوم:
أيها الحلقوم، هل أنت خنجر؟
الطعام القليل يزيد الحكمة
والطعام الكثير يقلل الحكمة
كيف تكون في هذا المكان، ولا تأكل؟ الزم المكان، وكل، وقل:
هذا أولها. من ثم علمني حتى يبدو لي الثواب والفتح والمطلوب
والمعشوق.

(١٥٢) إذا جاع العبد مطر سحاب الحكمة من قلبه على لسانه.

إشارة إلى الحديث: من أجاع بطنه، عظمت فكرته، وفطن قلبه.

المحدث: الألباني. المصدر: السلسلة الضعيفة.

خلاصة حكم المحدث: لا أصل له. توضيح حكم المحدث: لا يصح.

الموسوعة الحديثية، الدرر السنية dorar.net.

وقال أبو يزيد البسطامي: الجوع سحاب، فإذا جاع العبد أمطر القلب حكمة.

الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، ص ٢٦٦.

مثال ذلك شخصان صائمان: أحدهما صائم لأنه لا يجد، والآخر صائم لأنه يجد ولا يأكل. **لله تعالى ثواباً**. أو العنين والرجل وقد تعفف كلاهما عن الزنى، أو العاجز والرجل القوي وقد اجتنب اللصومية. والحيوانات كلها حين لا تجد شيئاً، ولا تدرك شيئاً تبقى صابرة. وبصفة عامة هذا ضعف.

فيا أهل ليلى كثر الله فيكم من أمثال ليلى كي تجود نهالها^(١٥٣)

بلى إنني رأيت جمالاً في طريق خراسان، لا أعلم أكانت ثلاثة أم ألف؟ قال: كيف حدثت هذه المشكلة؟ ذلك خنثى، ولا أعرف الآخر. على كل حال كلامه مخنث. وإذا لم يكن ذلك الآخر مخنثاً، لما كان كلامه مخنثاً، ولما كانت حركاته خنثى. الجميع مخنثون ما عدا قوم، أين أولئك القوم؟ كم تؤذين ذلك الذي لا تدركينه أيتها الحسنة! تركتني وحيداً. وحين لا يبقى معي أنيس، أبقى وحيداً، فمن أنيسي؟ من ثم نقول هذا الكلام على سبيل الرمز، ويعلم الله ماذا يفهم ذلك النحس. ولو نوضح المعنى، لا يبدو الأمر حسناً، وإذا لم نوضح المعنى، فهناك شيء ما.

(١٥٣) بيت لقيس بن الملوخ، ورد على هذا النحو:

فيا أهل ليلى كثر الله فيكم من أمثالها حتى تجودوا بها ليا

الديوان alldiwan.net

قال صلى الله عليه وسلم: من تقدم إليَّ بشبر تقدمت إليه بذراع^(١٥٤).

إن صاحب الكلام، يلقي به كلامه إلى الأمواج، ربما يكون المستمع غير جدير بالسماع، وذهب هناك، وجلس. إنه لا يقول: إن الناس متخلفون، وبماذا أفادني لما كان يعظ؟

شعر

صرت من مرتادي الحانات، وتخلصت من الغم
وتحررت من قيد الزهد والتلاوة

شددت وسطي بزئار

من أجل خدمة الأحرار

إن مبعث السرور في مجلس الطرب ثلاثة أشياء:

الشراب والشمع والشاهد، وقد طلبتها

أظهرنا طاعتنا ولكن

لا يستطيع العبد تحمل طبعك السيئ

(١٥٤) من تقدم إليَّ بشبر تقدمت إليه بذراع. إشارة إلى الحديث: قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إليَّ شبرًا، تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إليَّ ذراعًا، تقربت إليه باعًا، وإذا أقبل إليَّ يمشي، أقبلت إليه أهرول.

الراوي: أبو هريرة. المحدث: مسلم. المصدر: صحيح مسلم.

خلاصة حكم المحدث: صحيح. التخريج: أخرجه البخاري.

الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

نص عربي

قال صبي دلال معرفته على إذ وجهي طاب ومن وجه كرهت، من هو حتى يدعي معرفتي؟ ما في الدنيا قبيح قط إلا بالنسبة، الكفر ليس بقبيح إلا بالنسبة إلى الإيمان صار قبيحًا، كان حسنًا في نفسه، فلما جاء الإيمان صار منسوخًا قبيحًا.

الحديد حديد في نفسه، ومنافع للناس وقوة في الناس، ولكن بالنسبة إلى المس صار ذليلاً، لأن المس يصلح لما لا يصلح هو له، لأن المس قابل الكيمياء دون الحديد، فبهذه الصلاحية ترجحت على الحديد، ثم هو كان جيداً إلى أن جاء الفضة، هكذا الذهب والجوهر والدر اليتيم.

سل من اللعل: لأي شيء صرت لعلًا، حتى يكون لك من الشمس، إن كان الكلام له ينقصه، ويناقضه، ويكسره، ويعيده بمعنى آخر وبوجه آخر، ولعليه ونعليه. وإن لم يكن كذلك، فليس له معرفة، فأقل الأحوال أن يُقال: خذ بنعليك، ونحن لا نقبل هذا، ونحايين من قبول هذا.

قلت: متى عرفتنني؟ متى رأيتني؟ متى وصل ذلك إلى ذيلي، وكمك إلى كمي؟ ومتى جالستني؟ ومتى رافقتني؟

علامة السمك أن لا يعيش إلا في الماء، فإذا رأيت يهرب من الماء، ويموت من خوف الماء. إذا قيل له الله، مات من الحزن والخوف، ويريد أن يخرج. القليل لهذا لا حاجة له إلى الدعوى والبيئة، بل هو يعيش في الماء، لا يخرج، فلو اتفق أنه يخرج.

هذا هو الأصل أن الخليفة يلبس قوماً بيضاً وقوماً خضراً وقوماً أحمر وقوماً قلائس، فتحيروا في ذلك، ولا آخرها إلا خواصه، وهم

أيضاً يغطلون، إلا أن لا شغل له ولا قصد إلا النظر في الناس، فكل من طاب له وأعفاه، إما يعرف بنفسه، وإما يتعد إليه الوزير فيخبره عن الحال، وليس له شغل إلا هذا.

كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف^(١٥٥). بين حاناً وحاناً ذهبت حصاناً، وبين مولانا وبين مجد غرضنا ألوف، نعم الشمس يشتهي الفروة والحبّة، نعم لا بد حينئذ يقول وراح، فإذا جرد ينبغي أن يتدارك أو يهمل، كأنه يقول: ما هما له هكذا كان ينبغي، كما قال جوحى لما شل يده بضرّب الطنبور: هكذا كان ينبغي.

من أنت؟

أجمع العظام من محلّتك

حتى لا يدخلها كلب أبداً

أين هم؟ من هم؟ ما دمت أقول: هم، فإنهم يعرفونني. وقد قالوا:
من أنت؟ وكانوا ينشدون:

سطع ضوء القمر، واضطربنا

ثاب المعشوق إلى رشده، وثملنا

أيها الحبيب، لا تشغل بما تسمعه بعد هذا

لأننا فقدنا الصواب

(١٥٥) كنت كنزاً مخفياً، فأحببت أن أعرف. إشارة إلى الحديث: كنت كنزاً مخفياً، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق، فبي عرفوني.
د. محمد مصطفى حلمي: الحياة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٨٤، ص ٣٨. والحديث ليس له سند صحيح.

كنت أرى النور يهبط من السماء أمواجًا، وكنت أشاهد به رأسي وعيني ورثتي وكبدي.

تفسير

﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١٥٦). وردت في حق الخاصة من المؤمنين. فلو أنه الأخص، فلماذا تقول في حقه لَمْ تقولون؟ وقد اجتنب البخل، وقد اتفقوا على أن يضعوا وعاءين أمام بابه، فأى مجال لـ«لا تفعلون»؟ ما معنى المروءة؟ إنهم جماعة. ادفع درهمين، واملأ الوعاء، وأحضره، ما هذا؟ وقد خرجت عظام البغل بسبب الجوع.

نص عربي

تغير حاله دون قاله، وقوم قاله دون حاله. لا يقول واحد، وهذا العتاب لهم، أنكم لم قلت ما ليس ذلك حالكم؟ يقولوا: لا أنا عبيد أهل ذلك الحال وحواشيهم ومجيبيهم. قال: إذا كان كذا، فمبارك.

الله معنا

الله معنا، أنصت إلى هذا الكلام المرموز. رأيت الشاهد والحاضرين حولي، وتأثير ذلك النور على قلبه في تلك الليلة. أردتُ النظر إليه شزراً في ذلك الوقت الذي تحدث فيه، وسخرتُ أنت منه. لكنني ملكتُ نفسي حتى انتهى. وهاجمته أنت، لأنه كان عاجزاً. بعد ذلك نظرتُ إليه مبتسماً. إذا كان هذا صواباً، كان سهلاً.

(١٥٦) ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾. سورة الصف، جزء من الآية ٢.

والمشكلة مع هذه الطائفة، أننا نملك العديد من النفائس المخفية تحت الأرض، ولأن نفائسنا مخفية، فإنها شيء آخر. ذلك الذي حظيت به في السلطنة كان شيئاً من هذا القبيل، فما هو؟

السيف خطيبي، إنني لا أرح ولا أقطع. فهمتَ في ذلك الوقت، لأنك علمتَ، وتركتَ الصمت. كنت أقول: ماذا قلتَ؟ ألا ينبغي عليك الحديث يوماً من أجل قلبي؟ بلى، إنني علمتُ وقلتُ لعلاء الدين وكريم. فقال: إنني لم أتعلم، فتألمتُ حينئذ، وقلتُ: إنني خشيتُ أن تقول: ماذا تعلمتَ؟ وكيف تعلمتَ؟ وكذلك إذا كنت أحسن القول، كنتُ أتحدث. فماذا قلتُ حتى تستحسن كلامي! من ثم تعالَ لكي أُقبِّلَكَ.

الحكم مرهون بالعمل

ألم تقل لأخي إن شمس الدين يذكرك، وهو منبوذ منا؟ وهو أفضل مائة مرة من خواجكي، إنه يدقق بشدة في مسألة الفقر^(١٥٧) والوحدة، ولما أجيء، يصمت. اصمت، فماذا نعلم نحن؟ من ثم قلتُ: ينبغي أن يحكم بيننا حكم، حتى ينقضي هذا الأمر، ويكون هو الحكم. لكن ذلك الحكم خارجي، كل حكم يحكم به عليه، ينفذه بعناية احتراماً له، حتى إن كان لا يطيقه.

(١٥٧) الفقر: قال أهل المعرفة: الفقر الأنس بالمعدوم، والوحشة بالمعلوم. وقيل الفقر إظهار الغنى مع كمال المسكنة. وقيل الفقر عدم الأملك وتخلية القلب مما خلت عنه اليد، أي لا يطلبه أيضاً، فإن الطالب يكون مع مطلوبه وإن لم يجده. وقيل ليس الفقر عندهم الفاقة والعدم، بل الفقر المحمود الثقة بالله تعالى والرضا بما قسم. محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج٢، ص ١٢٨٢.

لكن الحكم هنا مرهون بالعمل، والحكم مرهون بأعمال الملاك
والمصارع واللاعب بالشطرنج جميعاً.

الراحة التامة

أمسك الشيخ بتفاحة في يده ذات يوم. وكان زين الطوسي يسأل الله.
فقال له: ماذا تريد أنت من الله؟ ولما وجدتُ أنا تفاحة، أردت التصدق
بها. أراد أبو يزيد الله من الله. وأراد فلان فلاناً. قال زين: أريد الله من
الله. قال: وهل تحظى بمنزلة أبي يزيد؟

كنتُ طفلاً، وسألني، فأومأت برأسي قائلاً: أريدك. طأطأ رأسه،
وكان يحركه. لم أكن أستطيع الكلام، ولم ينطق الفم، لكن كان الكلام
والقول والمعنى كله بداخله. كنت موجوداً عجبياً، وقلما تحقق ذلك
لشخص في الصغر.

ينكشف للأستاذ شيء بواسطة الشيخ الذي جاء من خراسان. فكان
يقول لي: كن أبي زوراً، فصرت بمثابة الأب له من أجل الأبناء، ماذا أفعل؟
تبقى أنت في هذا الوقت مع المحزونين، والراحة هي أن تعلم أن
سعادتك التامة في كل شيء قسمه الله تعالى لك.

القريب والبعيد

لقد أرسلوني قائلين: إن غلامنا اللطيف ذلك ضحية قوم أخساء،
وهم يفسدونه للأسف.

يجلس رفيقان بجوار بعضهما بعضاً، أو في مواجهة بعضهما بعضاً،

ويتحدثان. فأين تلك المشاهدة من المشاهدة من بعيد؟ فالبعيد محجوب في النهاية.

مع أنك تحظى بذلك الصفاء الذي لا يحجبك، لكن أين مذاق القرب؟ الشخص الذي يكون حاضراً وهو بعيد، كيف يكون حاله وهو قريب؟ يقولون: نذهب إلى المكان الفلاني. فسألهم: هل شمس موجود هناك؟ إذا لم يكن موجوداً، قل: أنشغل أنا بالعمل في هذا الوقت.

إنك جدير بالصحبة!

قال فلان الصائغ: إنني سمعت أنهم قدحوا في حقك، ومدحك هو. كيف أمدح أنا نفسي؟ قال: إنك لم تكن كذلك، وقد صرت هكذا ببركات صحبته. إنه ينبسط، ودائماً ما كان ينبسط. عددتُ أنا على أصابعي، وانهمك هو في الأمر، وقال: إنك جدير بالصحبة. قلتُ: لو نختلي أنا وأنت، وتضربني بالنعل عشر ضربات، وكل فتح يحل عليك، أخفيه عن المشايخ. قال: إنك تليق بالصحبة، وكنت أعتقد فيه، وكنت أسمع أنه شيخ وعالم وكذا وكذا.

من ثم حافظ على الصحبة الطيبة. إنه يريد أن يأتي، وتكونون أنتم في المسجد، فيراكم، وسوف يشني عليّ.

من الأفضل؟

قال لي: هل هو الأفضل أم فلان الصائغ الذي أصبح شيخاً؟ قلت: كل شخص عظيم بمقامه. لكن ما العلاقة التي تربطه به؟ إننا لا نقدح في

حق أحد، لكن عالمه عالم آخر.

يطمع الدرويش الخام في مكانة الشيخ، هذا الطفل لا تزال تلزمه سنة يخدم فيها الرجال، ويحترق ليلاً ونهاراً، ويسيح مثل دهن البقرة في المقلاة، حتى يتحول الصوف ياقوتاً بعد ذلك.

رقص العارفين

رقص العارفين لطيف وخفيف، كأنهم أوراق شجر تطفو على سطح الماء، بواطنهم مثل الجبال، ومثل مائة ألف جبل، وظواهرهم مثل القش.

إنها صفاتي

الحق بيدي، الحق ليس معي. هذه الصفات كلها التي تذكرها في الخطبة - البصير الذي لا يعزب عن بصره - أدركها، إنها صفاتي.

ألا تضجر من هذه الكلاب الفاسدة؟

ألا تتبرم من هذه الحمير الجامحة؟

من ثم يجب أن تمسك العنان، وتجذبه.

يقول القائل:

الفرق بين العالم والجاهل

أن هذا ممسوك العنان وذاك مفلوت الزمام

أين جذب العنان؟ إنني ألجم نفسي دائماً، وأمنعها عن الطعام في الظاهر على الأقل، وأهذبها كثيراً، لكن يجب ألا تصير قيئاً لي، ولا أفكر

في قوتها أو طعامها أو ملابسها أبدًا. يعني لا تبقى النفس، ونكون معًا لما تؤدي الطاعة، فهذا مكروه وتلك شبهة.

العبد المخلص

ليس هناك عبد أفضل من ذلك العبد المخلص الذي يتوسل بكبرياء الحق، وينجو.

سواد الوجه في الدارين. لو أنك تقول الصدق، فلماذا تدعو الخلق إلى سواد الوجه؟ ولو أنك تكذب، فلا تُمثل إهانتك شيئًا.

يقول آخر: احتمال، فالكلام كلام الله، ومن ذخائر الله.

لا تشتتر الشطرنج!

لا تشتتر الشطرنج لعلاء^(١٥٨)، لو أنك تحب مولانا، فوقته مخصص للدرس، ويجب عليه أن يغتني الوقت، وألا ينام إلا ثلثي الليل أو أقل، وأن يتعلم شيئًا كل يوم، ولو يكون سطرًا.

إنه لو يسمع ذلك، يستاء مني، ويقول: إنه يجبرني على العمل، وليحفظني الحق من هذا العدو. والقول الحق هو أن يجتهد في العمل. لكن لمَّا تبلغه رائحة العمل، يفرع، يا للعجب!

إن البعض يطيب له إهدار الوقت. ومن اتبع السواد فقد ضل. ولكل

(١٥٨) علاء: المقصود علاء الدين ابن مولانا الأصغر، الذي استاء شمس الدين من لهوه وعبه. وفي النهاية اشتد الخلاف بينهما، وعارض علاء الدين شمس الدين وخالفه. انظر: شمس الدين تبريزي: مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، ص ٨٨٦.

جسد لسان يجيب ويسأل، ويحسن البيان، ولا خبر له أبداً عن عالم الحق!

نص عربي

بعد كم لا بايع يبيع، ولا مشتري يشتري، يلبس الإنسان في السماء
ما لا يلبس في غيره البتة، ويلبس في الصلاة ما لا يلبس في غيره، وفي
السقاية.

وقع لي هذا بصوت الفاخطة. وكان بيني وبينه من قديم، وطيب إن
هذا يغضبه غيرة على الوجد. إنه كيف يكون في هذا الموضع الوجد
الذي يقصد الأنبياء والأولياء. ولو علمت لتساكرت، وانسبطت له.
يستجلي الحق على صفائح وجوههم وعلى شمائلهم وعلى ما يظهر
عليهم.

كيف ترقصون؟

لا يريد دراويش شيراز شيئاً من الإنصاف، إلا أنهم يقولون: لم
يكن حسناً. من ثم في هذا الوقت الذي تحدده، يرقص بعد سماع الغزل
متكلاً.

كيف تتحدثون وتحركون رؤوسكم، وهو لم يقل قولاً أو ينشد
غزلاً، فكيف ترقصون؟

بحار الرحمة

لقد ابتليت، ولا أطيق هذا الألم. تقول الحضرة: إنني أدبر أمرك لهذا
السبب. يقول: يا رب، إنني ابتليت، فماذا تريد من هذا العبد؟ قال: أن
تعاني!

هذا هو حديث تحطيم الجوهر نفسه. فقد قالت المعشوقة: لماذا حطمته؟ قال: حتى تقولي: لماذا حطمته؟

والحكمة في هذا الابتلاء هي: أن بحور الرحمة يجب أن تفيض، والسبب هو ألمك. وما لم يظهر سحاب غمك، لا يفيض بحر العلم. فإن الأم لم ترضع غلامًا

على الإشفاق مذ سكت الغلام (١٥٩)

ثورة الشك

كل من لا يشاهد تغير ظاهره وباطنه، وحكمته وسمعه وبصره وعقله وتدييره للعالم، يبقى في شك. وحين يؤمن بمعجزات الأنبياء جميعهم وكرامات الأولياء جميعهم وهبوط الملائكة بالوحي، ويبقى في شك، يقول: ما الشيء الذي يحقق المراد، أو أنه يحقق نفسه بنفسه؟ ولو يتأخر تحقيق المراد، يقول: لو أنه رحيم أو عليم أو قادر، ويرى عاجزًا، لكان يدبر له الأمر!

نهر الفرات

ذهبت جماعة لمشاهدة نهر الفرات. سافروا طوال عامين، وشاهدوه من فوق الجبل جليًا.

صعد أحدهم، ودار، وقال: إنه حسن. ثم نزل. وفعل الآخر كذلك.

(١٥٩) ورد هذا البيت في الحث على المطالبة، في كتاب محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني على النحو الآتي:

فإن الأم لم ترضع صبيًا مع الإشفاق لو سكت الغلام

الكتاب الإسلامي . islamic book.ws

قال البعض: يعلم الله ماذا يصيبهم؟ هل يهيمنون أم ماذا؟ عاد البعض، وقالوا: منذ وصلنا إلى ذلك المكان، ومضى الرفاق، ونحن لا نعلم شيئاً آخر! وصاحوا.

مثل طائر مائي نزل البحر، فكان إخوته وأمه يتجمعون، ولم تكن موافقته والنزول معه ممكنة، لأنهم يضعون بيض البط تحت الدجاجة، فيخرج البط الصغير، ويأتي البط إلى اليابس، ويختلط هذا بذاك. فلما نزلوا البحر، جاء هؤلاء إلى شاطئ البحر قائلين: وا أسفاه، فقد رحلوا.

شعر

الأمر العجيب؛ الأمر العجيب أن يذكرك الرفاق

فلتسعد ولتفرح!

لا تبقَ في هذا المقام^(١٦٠) يقظاً أو ثملاً. ربما كان غرضه ألا تستغرق في مقام، واطلب المقام الأعلى منه. لكن لا، إن هذا ليس شأنه، إنه ينزل حيث نزل، ولا يبقى هناك شيء آخر، وإلا كان يطلبه.

(١٦٠) المقام: المقام «معناه مقام العبد بين يدي الله عز وجل، فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عز وجل».

والمقام هو الذي يقوم به العبد في الأوقات من أنواع المعاملات، وصنوف المجاهدات. فمتى أقيم العبد بشيء منها على التمام والكمال فهو مقامه، حتى ينقل منه إلى غيره.

أبو نصر السراج الطوسي: اللمع، ص ٦٥. د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص ١٦٦.

إنه قدح مملوء بالشراب، قدموه له، فارتوى وجلس. قال: أبقى بجوارك، فلا يمكن الذهاب إلى مكان آخر.

يفرغ إيوانك من مائة شخص مثلهم. لكنه أسير الحجر، والإيوان المفيد هو الذي يفرغ من الحجر، ولو يهدمونه. والأصل يبقى، ويكون الشفيع. يعني أنه رأس الفتنة، وينبغي أن يجيبهم إجابة شافية، لأنهم لا يفهمون الإجابة الصامتة.

يعني اسعد، وانبسط، وامزح، واهناً.

صفة آدم وأبنائه

ما معنى هذه الآية: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ (١٦١)؟ ولماذا يقول في هذه الآية: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١٦٢)؟

شعر

هلك قلبي في مكان، فلا تسأل عنه

يعني لما تريد أن تفيد مني، وترغب في أن تستر تواضعاً يشبه تواضع فرعون الذي كان يقول في السر: يا إلهي، أنت إلهي، وأنا عبدك، لكنه كان يقول في العلن: ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ (١٦٣).

قالوا: لا، ينبغي التواضع في الظاهر وفي الباطن أيضاً. قال: لا،

(١٦١) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾. سورة الفرقان، جزء من الآية ٤٥.

(١٦٢) ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾. سورة النور، جزء من الآية ٣٥.

(١٦٣) ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾. سورة النازعات، جزء من الآية ٢٤.

إنني أتمهل في الإجابة مثل الخادم، ولا أتسرع مثل الوزير. والعجلة من الشيطان (١٦٤).

إنهم لا يشاهدون سوى الصورة شيئاً آخر، لأنهم جميعاً يشاهدون الصورة، ولا يستغفرون. وتلك صفة آدم وأبنائه. وهذا الإصرار صفة إبليس وذريته. أقسم له بأن الله يقسم قائلاً: إنني خلقت الرومي والتركي والهندي والعربي، واللعنة على ذلك الصُّلب الذي أنجب مثلك.

طباخ الملك

ذلك الطباخ الذي قَطَّرَ الطعام على ذيل ثوب الملك، فقال الملك: اشنقوه. سكب الطباخ باقي الطعام على ثوب الملك، فُسِّرَ الملك، وأخذ يضحك قائلاً: كيف فعلت هذا؟ قال: ما دمت سوف تشنقني، وينعدم ذلك الموجود، فإنني أفعل شيئاً عن قصد مرة. من ثم فإنه مهما يطلب

(١٦٤) العجلة من الشيطان: إشارة إلى الحديث: قال حاتم الأصم: العجلة من الشيطان إلا في خمسة فإنها من سنة رسول الله ﷺ: إطعام الطعام، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب.

رواه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا محمد بن الحسين بن موسى قال: سمعت نصر بن أبي نصر يقول: سمعت أحمد بن سليمان الكفرساني يقول: وجدت في كتابي عن حاتم الأصم، قال: كان يُقال العجلة من الشيطان إلا في خمس: إطعام الطعام إذا حضر الضيف، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب، والتوبة من الذنب إذا أذنب.

العراقي وابن السبكي والزيدي: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، استخراج أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد، دار العاصمة للنشر بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، الجزء الثاني، ص ٩٢٨.

المغفرة، لما كان ذلك يطيب للملك، مثلما فعل.

قضاء الله

هذا عيب أبي وأمي اللذين دللاني على هذا النحو. كان القط يجري،
ويكسر الأواني. كان أبي يأتي إليّ، ولم يكن يقول شيئاً، وكان يبتسم
قائلاً: ماذا فعلت؟ حسناً. كان قضاء الله، وقد وقع، وإلا كان يصيبك
الضرر، أو يصيبني، أو يصيب أمك. وقد لطف الله بي وبك.

إنهم يصنعون الناطف من قصب السكر بالمدارة

ويصنعون الديباج من الشرائق في زمن

تمهل واصبر صبراً.

فإنهم يصنعون الحلوى من الحصرم في زمن

يا ريح السحر، ألدبك خبر عن الحيّ؟

أتحملين بشارة من قمري الوجه؟

كثيراً ما تأتي بالطرب والضجيج

فاهدئي أيتها الريح، فإنك تحملين الأريج

قطب العالم

إنه قطب العالم في هذا الوقت. والسر الذي أبوح به في العالم بأسره:

أن الخلق يتمنون ترابه، ويضعون رؤوسهم على أعتابه، ويترددون عليه.

سافر رجل لزيارته منذ عام، وقبّل ذلك القاصد الملفوح الوجه
أعتابه، ولم يتمكن من الدخول.

جاء عزيز آخر من بعيد، وفي وسط الطريق انتحى جانباً، ثم عاد في
اليوم نفسه، ومضى. ولم يكن ممكناً السماح له بالبقاء.

إلى من نتحدث؟

أنا ما احتملت من هذا الرجل، كان يقول، وكنت أقول. قال: لا تقولوا له
أحمق. بلى، إنني أتحدث معه. قلتُ: أنا موجود هنا وهذا الجدار. وأنت
لا تتحدث إلى الجماد، ولا تتحدث إليّ. فإلى من تتحدث إذن؟ قل!

رائحة الأكارع

كان رجل يقول لي: هذا هو المنطقي، وأخذ يضحك. فغضب
وتعرق، وكان يحرك رأسه، ويضحك قائلاً: ماذا يقول؟ المنطقي!
كنت أتحدث مدة، وأتخيل أنني معدوم. لماذا لا تبقى؟ هذا هو
سبب الخصومة! وتضرع قائلاً: نذهب معاً، فقد تعود الأطفال عليك،
وأنسوا بك من دون شك.

بلى، إن حسن الحظ لا يلازمني، وقد بدت لي كذلك منازل
الغنيمة والراحة بسبب الرقة وسوء الطبع. فتركت هذه الرقة، وأصابني
الاضطراب، وكنتُ أألزم تلك الحجرة. وكانوا يفقدون الوعي أمام
الباب، وكنت أخرج في الصباح، وأجترف نجاسة ذلك الثمل شديد
السكر بالجاروف، وأنا صامت.

كانوا يسمعون شيئاً فجأة، فكانوا يطأطئون رؤوسهم معتذرين. كنت أقول: لا، لا. فإذا كنت حسناً، أكان مقامي هنا؟

كنت أطبخ الأكارع ليلاً، وأعد الشريد، فكانت الرائحة تنبعث. وكان يوصي قائلاً: تصدقوا به. ومن ثم لم أكن أشتري الأكارع. وكنت أمضي، واحتد في القول، حتى إنه كان يقول: إنه مجنون!

إفطار رمضان

دعوا مائة شخص طوال شهر رمضان. واستدعاني ذات ليلة قائلاً: لتفطر معنا. فكنت أدفع للبعض، وأوصي صاحب الرباط قائلاً: إذا جاءوا في الميقات المعهود، قل: لقد اصطحبه شخص آخر.

مشكلة صعبة

يحملونني إليك. وينبغي عليّ أداء صلوات كثيرة، وقد كنت أنافق في وقت ما، والآن فأنا لا أستطيع النفاق.

ها هو علاء الدين يتحدث، وغدًا سيتحدث صدر السجاسي، وجلال الدين يتحدث أيضًا. هذه مشكلة صعبة. فلو أن ذلك هو الكلام، فماذا يكون هذا؟ ولو أن هذا هو الكلام، يكون ذاك هزلاً. لا يقول هذا الكلام أي شخص.

تُغربل العالم بأسره، وتبحث عن مثل هذا الصدر، ولا تجد تراه.

عمر نوح

كان العالم معمورًا في عهد نوح عليه السلام، إلى حد أن المسافة بين مدينة وأخرى كانت مسيرة يوم أو أقل. وكان الناس يتعجبون بشدة إذا انقضى يوم، وكانوا يقولون: إنها بعيدة للغاية.

بصفة عامة دعا نوح ألف سنة إلا خمسين، وكان يطوف العديد من النواحي كل يوم. وهم يفسرون ذلك قائلين: كيف يبقى ألف سنة ونيف؟ يعتقد الحكماء أن العيش أكثر من مائة وعشرين سنة غير ممكن من دون شك. لكنني لا أقول ذلك، بل أقول بوضوح: إنه دعا ألف سنة، وكانوا يؤذونه في كل يوم خمس مرات في كل محلة، وكانوا يجرحونه، فكان جبريل عليه السلام يرفرف عليه بجناحيه، ويُطَيِّب جرحه. والقوم يفسرون. الخلاصة إنه لم يترك الدعوة، ولم يُسلم إلا سبعين شخصًا، أو أكثر من هذا العدد في روايات أخرى.

الدعوة واردة. ينبغي عليك القول: أي شأن لي بقبولها؟ قال: إنك لم تفكر، فأني عذر تقدمه؟ قال: لقد سلّمت رقبتني وقدمي لصفعات الأستاذ وعصاه، فأني حاجة لي للتفكير في حجة؟ خضعت مثل أبي بكر الربابي. لكن لكل شخص طريقة في الدعوة، واحد لا يمكن اتباع الشدة معه، وآخر تناسبه الشدة.

خزينة الحق تعالى

إن قلبي ليس خزينة أحد، إنه خزينة الحق تعالى. لماذا أترك متاع الجمال هنا؟ ألقه في الخارج!

ضمير الآخرين ذلك شيء آخر، لا تستوعبه إلا خزينة الملك بسبب الغيبة. وهناك قوة، وذلك هو حال المصطفى ﷺ، لأنه لا يفقد الصواب أبداً، بل إن المصالح كلها واضحة وجليّة أمامه.

من ثمّ يظن شخص أن هذا الحال أقل درجة من الاستغراق، وقد تحقق الاستغراق للكثيرين. واللطيف أن يتحقق الاستغراق للجميع، ويهتمون بالمصالح أيضاً.

كما أن الرسول ﷺ كان يحيل ذرة من ذلك الحال للآخرين، فكانوا يفقدون الصواب إلى حد أن الصديق رضي الله عنه لم يرو أكثر من سبعة أحاديث. ولا يتضح الحسن من السيئ ولا الكافر من المؤمن إلا لهم. والمسلم صادق القول.

ولتحل مائة ألف لعنة على الجارية، ولو يشترونها بمائة ألف. يرتكب شخص جنابة، ويتسبب في وقوعها، ويقول: إنهم يعاقبونني عقاباً لا يطيقه قلبي أبداً، وإذا كنت أطيقه، لكان ذلك حسناً.

الشخص الذي لا يألف الورد، يألف الشوك

ومن لا يلائمه المنبر، تلائمه المشنقة

لقاء الحبيين

المقصود من وجود العالم هو لقاء الحبيين، فهما يلتقيان من أجل الله بعيداً عن الهوى. ليس مقصودهما الخبز ولا الخباز ولا المجزر ولا القصاب. مثلما قنعنا نحن في هذا الوقت بخدمة مولانا.

نور أم نار؟

قصة أبي يزيد الذي ضل الطريق، ونزل في مدينة. إنه لم يكن قد أخطأ، وقد اهتدى إلى الطريق. وكذلك قصة موسى. كان نورًا فبدأ نارًا.

هكذا حدث لفراشة الشمع

أنها مضت في إثر النور، فسقطت في النار

دعك من المدح

مولانا عالم وليس في حاجة إلى مدحك. فدعك من المدح. إنني أقول ذلك ليكون مدح مولانا سببًا في راحته وسروره. فلتمتنع عن المدح، ولا تفعل شيئًا يشوش خاطره ويكدره. وكل شيء يؤذيني، يلحق الأذى بقلب مولانا في الحقيقة.

إكرام الضيف

كان ذلك الشيخ عظيمًا، كل شخص كان يدخل عليه، كان يقول له: هل تحل ضيفًا عليّ؟ تمهّل، حتى أرى هل أستطيع إطعامك. وإذا لم أستطع إطعامك، فكيف أتناول الطعام؟
يحرم الطعام عليّ!

مولانا لا يطيق الانتظار!

سبحان الله كنتُ أتحدث مع مجد الدين، وكنتُ أسأل وأجيب، وأطلب المعذرة، حتى لا يتكدر خاطرك. وقد خرج مولانا -أطال الله

عمره- وتضايق منك. هكذا هو حال مولانا، فإنه لا يطيق الانتظار.

طنبور في المسجد!

أخرج العازف الطنبور قبل أن يحضروا الطعام قائلاً: زاد كرمكم. لكن أجري عدة دراهم أحصل عليها، حتى أعزف على الطنبور. تطايرت النعال، فقال: لقد تركت طعامكم هذا، ووليمتكم لكم. إنكم لا تعطوني طنبوري، وتعطلوني عن عملي. قالوا: هذا مسجد. قال: آه، لم أغتسل منذ أيام، فأعطوني الطنبور بسرعة، حتى أمضي.

أريد طعاماً!

كان السلطان محمود قد افترق عن الجيش وهو جائع للغاية، فكان يقول للطحانين: السلام عليكم، هل لديكم شيء نأكله؟ قال أحدهم لآخر: انتبه، إنه جاء ليطلب الطعام. من أين جاء هذا الثقيل؟

ومن ثم قال له: لكن الخبز جاف، فهل تأكله؟

قال السلطان: أحضره.

ذهب الطحان، لكنه شعر بالندم في الطريق، فعاد، وقال: نحن نأكل الإجاص أيضاً، وليس هناك خبز، يوجد دقيق، هل تأكله؟

قال السلطان: هيا، أحضر أي شيء موجود. دخل الطحان، وقال في نفسه: وا أسفاه! لقد قُدم لرجيل بطين، وهو دقيق شعير. ثم عاد قائلاً: لقد اختلط بالجاروس. ثم عاد قائلاً: إنه ملك الأيتام. الخلاصة أحضر القشر، ونثره في وجه السلطان قائلاً: هذا ما كان قد تبقى، حتى تصدق. فظننتُ كذلك.

جلس السلطان متعب العينين على شاطئ نهر، ووضع يديه على
عينيه مدة طويلة، تلك العينان الجميلتان، إلى آخره.

مضى السلطان عن ذلك المكان، فرأى غلامًا تركيًا، فقال له: ألدبك
شيء نأكله؟ قال: لدي، لكن أسألون هكذا؟ ألق السلام أولاً، ثم قل:
قنق گرك، يعني أترید ضيفًا؟

قال السلطان: والله، إنه يقول الصواب. وأدار العنان، ثم عاد، وقال:
السلام عليكم.

عليكم السلام.

- قنق گرك (أي أترید ضيفًا؟).

قال: تش (أي انزل).

أحضر الغلام التركي الكماج والزبد واللبن والجبن وغيرها. وأكل
السلطان.

قال السلطان: خذ الخاتم، فأنا مقرب من السلطان، وسوف آخذ لك
شيئًا جيدًا منه. وإذا لم يمنحني، أمنحك أنا.

رأى الغلام خاتمًا ثمينًا، فقال: وا أسفاه! إنني لم أذبح كبشًا، ماذا
فعلت؟ وكلما كان يستغرق في التفكير في هذا الأمر، يصبح عمله
أفضل، وقدره أعلى.

لما التحق السلطان بالجيش، جاء الغلام، وعرض الخاتم. فانكب
الجميع على وجوههم، وحملوا الغلام.

شاهد الغلام الأمراء والملوك قد اصطفوا، ووقف الفرسان والملوك الآخرون متقابلين. فينظر إلى الجميع قائلاً: أيهم ذلك الأمير؟ يرى السلطان على شاكلته، فيقول: لا حول ولا قوة إلا بالله. ينظر مرة أخرى إلى الجميع، ويقول: آه، هل كان هو السلطان؟ تحدث السلطان، فقال الغلام: والله إنه السلطان. أمر السلطان له بأربعين غلاماً متمنطقين بالذهب، ليكونوا في خدمته، وقس بقية النعم على هذا.

قال السلطان: أحضروا ذلك الرجل الطحان، حتى أطيّب قلبي. هرع مائة شخص من المسلمين - وكان قد وصفه لهم - وكانوا ينظرون، وجابوا المرتفعات والجبال في تلك الناحية. قال أحدهم: أهذا هو؟ قالوا: بلى، إنه هو.

قال الرجل: هي، لقد جاءوا. وفرّ، وأغلق الباب. طرّقوا الباب، فصمت. أي لقد مِتُّ.

قالوا: كيف مِتَّ وأنت تتحدث؟

قال: لا، هذا هو النفس الأخير، ولقد مِتُّ!

قالوا: انهض.

لم ينهض، فحطموا الباب، ودخلوا، وقالوا:

انهض، إن السلطان يريدك.

قال: أيها السادة، أين أنا وأين السلطان؟ أنا رجل طحان، لو يملك

السلطان القمح، يحضره، وأطحنه له.

قالوا: هيا، انهض، إن السلطان يريدك.

قال: إنني أطحن جيداً في النهاية.

قالوا: انهض، ولا تثرثر.

قال: أمتحكم الدقيق والكماج^(١٦٥) والزبد.

لم يكن يمنحها للسلطان، والآن يضيّف مائة شخص.

قالوا: انهض، لماذا تهذي؟

لم ينهض، فربطوا حبلاً في رقبته، وسحبوه. كان ينظر حوله في البلاط، حتى يرى رئيس الخدم. فلم يرَ إلا السلطان. يقول: آه، لو أملك ألف رأس، لا أقطع واحداً.

يقول السلطان: لقد أحضرتك أيها الرجل لكي تأتي بخاتمي الذي وقع في البئر!

قال: سمعاً وطاعة.

كان السلطان قد أمر سراً بأن يحكموا وثاقه حين يدخل، ولا يحرروه طوال ثلاثة أيام، حتى يكابد غصة الجوع.

يُحبس الرجل الشره مثل الجحيم -الذي كان يتناول كل يوم خمسة أطنان من الطعام- ثلاثة أيام، لا يجد خلالها الطعام! وقد أشرف الرجل

(١٦٥) الكمّاج: الكمّاج خبز رقيق لذيق الطعم.

انظر: شمس تبريزي: مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، ص ٨٨٩.

على الموت. وبعد ثلاثة أيام يقول السلطان: أحضروه.

قالوا: انهض، واخرج.

يقول: ماذا تريدون؟ لقد بقي لي نفس، دعوني أموت.

يقولون: أنت ذلك الرجل الذي نتركه يموت ميتة واحدة!

يقول: يا ويلاه.

أحضروه.

يقول السلطان: أيها الرجل، أتناكل الأرز الفاسد؟

قال: وا أسفاه، وآكل الإجاص أيضًا.

قال السلطان: أتناول حساء الكمون بالتمر؟

قال: حسنًا.

قال السلطان: أتجرب الأرز باللبن والسكر؟

قال: حسنًا، كيف لا أتناوله؟

قال: نحن نأكل الإجاص أيضًا.

وعلى هذا النحو كان يعدد له الأطعمة.

قال: أيها السيد، هيا اقتلني.

لما حُرِمَ وظلِّم كثيرًا، أشفق عليه السلطان. فأنشد الرجل هذا البيت

متأثرًا بتلك الشفقة:

شعر

أسيء وتسيء إليّ

فما الفرق بيني وبينك إذن؟ قل

أخذ السلطان يضحك، وأمر له بألف درهم، وخلع عليه الخلع، وأطلقه مسرورًا. ثم أمر باستدعائه مرة أخرى، فهرولوا، وقالوا له: تعال.

قال الطحان: آه، لقد منحني الأمان حتى يزيد من الإساءة إليّ.

يقول: خذوا مالي إذن، واصفحوا عني.

قالوا: تعال هنا، وأجب. وأحضروه.

يقول السلطان: عاهدني، وحالفني -حرصًا على رقبتك- إذا لم تمنح سائلًا شيئًا، فلا تنثر ذلك القشر الممتزج بالدقيق في وجه أحد، فقد أصببني بالعمى.

انكب الطحان على وجهه، وبكى كثيرًا، وتعهد بألا يبخل بشيء موجود، وألا يذل ضيفًا أبدًا.

الملائكة والشياطين

قال شيخ: إنك تداوم على خدمة مولانا والحمد لله. والمريدون بمنأى عنك. وهم عمي. كأن ملاكًا كان هناك. يصير الناس ملائكة هذا الشخص أحيانًا، ويصبحون شياطينه أحيانًا أخرى.

كنتُ أخرج ثلاث مرات، وأجيء، وكنتُ أدخل الحجرة. وكنتُ

أبدو رجلاً في البداية، وكان الطفل يفر. وكانوا يتشفعون عندي، وكنتُ أقبل الشفاعة.

كان يهرب ويُهَرَّب آخر معه. فقلتُ: لا يجدي هذا، ينبغي ترك هذا العمل، أو التأدب. ماذا ظننت؟ ماذا قلتُ؟ إذا لم تقل هذا، فذلك الذي قلته غير محتمل.

خام خام

كان رجل ينهب أموال الناس، ويدّعي الجنون أمام القاضي قائلاً: خام خام!

قال القاضي: أيها الرجل، إنهم يقيمون عليك الدعوى، فماذا تقول؟ قال: خام.

قال: إنه مجنون، احملوه إلى المستشفى.

كيف كانوا يتركونه خارج المستشفى؟

سقط عليه رجل أكثر منه لصوصية وحمقاً، وسلبه مائة ثوب ومائة رداء بغدادي ومائة أطلس إسطنبولي، ومائة لباس آخر.

وقال: خام.

قال: لا يا مولانا، لقد غسلتها وكفّتها.

قال: خام خام.

يقول القاضي: الخام مُقَرَّرُ إذن، وليمنح ما أخذه.

قال: فلتنكر عليه علمه هذا إذَنْ.

يقول القاضي: ماذا تقول؟

قال: أنكر.

قال: لقد اعترفت، فلماذا أنكرت؟ أعطِ المسلمين حقهم.

قال: إنني أسأل أين وضعتَ هذا القماش الذي تركه فلان وفلان
أمانة عندك؟ تقول: عند ذلك البخاري، حتى يقصد اللصوص ذلك
المنزل الذي توجد أمامه بئر. هذا هو معنى الحديث نفسه.

من أجل خاطري!

ما أجمل أن تقول بلى عشر مرات! يا من متَّ بسبب الجوع. قل بلى
عشر مرات، فما أطيب ما تقول!

إنني أرغب في أن تتناول هذا مع العسل،

وأنا أنظر على هذا النحو، كل، إنها ثلاث لقمات أو سبع عشرة لقمة
أو سبعون لقمة من أجل خاطري.

كنتُ أريد أن تبقى معي شهرًا، وقد فرغت من العالم بأسره، وأنت
كذلك. وقلتَ أنت: إنني لست مسرورًا، أو اعتراني قبض، والحزن
يعتمل بداخلي، لأنك تستوطن روحي، وتؤثر فيها.

أيها الأفندي الشلبي المتسول المنحوس، الراغب في المعانقة
والقبلة والمداعبة على الدوام. إن علامات المغفرة تبدو عليّ، وأوشكت
أن أنتحي جانبًا، وأستغرق في الغفران، إنها العلامات.

أحسن التفاسير!

بماذا يفسرون ﴿سَرِيهَمَ ءَيْنِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾^(١٦٦). في الآفاق شق قمر وصيف، ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(١٦٧) مرض وصحة. ما أطيبه من تفسير! أحسنتم أيها المفسرون.

وفي قول آخر: في الآفاق شق قمر ومعجزات، وفي أنفسهم انشراح الصدر.

إنه الحق يعني أن الله حق، أو أن محمداً حق. ما أطيبه من تفسير! وهذا التفسير بديهي عند المريدين والسالكين.

كل آية تمثل بشارة ورسالة عشق. إنهم يعرفون القرآن، وجمال القرآن يبين ويوضح لهم أي كلام هو!

إنه الحق يعني حتى يعلموا من هو الله تعالى، أي أنه الحق. إنه ليس تفسير واحد القدسي^(١٦٨). ماذا نفعل بتفسير الطوسي^(١٦٩)؟

(١٦٦) ﴿سَرِيهَمَ ءَيْنِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾. سورة فصلت، جزء من الآية ٥٣.

(١٦٧) ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾. سورة فصلت، جزء من الآية ٥٣.

(١٦٨) واحد القدسي: يبدو أن المقصود هو: أبو الحسن علي بن أحمد واحد النيسابوري المفسر والنحوي المعروف الذي كان معاصراً لنظام الملك، وتوفي سنة ٤٦٨ هـ. وقد ألف كتاباً في تفسير القرآن عنوانه «البيسط»، ثم أعد له ملخصاً عنوانه «الوسيط»، ثم لخص الملخص تحت عنوان «الوجيز». انظر: شمس تبريزي: مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، ص ٨٩٠.

(١٦٩) الطوسي: ربما يكون المقصود هو: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن حسن الطوسي. ويعد تفسيره المسمى بـ«التبيان» من أقيم كتب التفسير وأكثرها شهرة. انظر: السابق، الصفحة نفسها.

﴿الرَّحْمَنُ ١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿١٧٠﴾. استمع إلى تفسير القرآن من الحق. ولا تستمع إلى تفسير من غير الحق. ذلك التفسير هو تفسير لأحوالهم، لا تفسير للقرآن. إنها ترجمة حرفية، يقولها الأطفال جميعهم في الخامسة من عمرهم.

فراء شمس الدين

يحل الشتاء، ويلزم شمس الدين فراء، بلى، إنها مهمة صعبة. تلزم الخرقه رقعة. بلى، إنك تحسن القول، يلزمني شعر، أطلبه منك. إنهم يحسنون للضيف في وقتين. وقد حان الوقت كي أنتزه، ومع أنني أقوى على المسير، لكنني أخشى ألا تقبل. لما أخرج تكون قىماز بالنسبة إليّ أقسرا. أتركك في وسط الطريق، ولا يكون ذلك بإرادتي. أتركك في البيت بين الأبناء، لأن وسط الطريق ينبغي أن يكون مثل أوله. كان بيننا تقارب شديد في هذا الوقت. من ثم وقع الفراق، ماذا سيحدث بعد ذلك؟ لا أعلم.

التشويش

لو أن التشويش سببه ما حدث في هذه المرة، فلا تقل إنها غير الحق. قال: أي إسلام هذا؟ قلتُ: فلتؤمن بهذا الإسلام. ولم تتحدث في تلك المرة. وذهبت إلى بستان سراج عدة أيام، وأبليت ذلك الجورب، وتحدثت، وانزلت عدة أيام. وشرحت الأمر في النهاية.

(١٧٠) ﴿الرَّحْمَنُ ١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿١﴾. سورة الرحمن، آية ١، آية ٢.

وقد أدينا ما علينا، وأقسمنا. ولستُ أنا من سلم على شخص يوماً، ولا أجزى هذا. فلو أن هذا هو التشويش، فربما حكم علينا بالفراق، إما غيرة عليّ منك، وإما غيرة مني عليك.

أقوال الفلاسفة

قال عن الله تعالى: إنه موجب بالذات^(١٧١) وليس مختاراً. إذا كان

(١٧١) **الموجب بالذات**: الموجب بالذات مصطلح فلسفي معناه: الذي يصدر عنه الفعل من غير قصد وإرادة.

ويعرف الجرجاني الموجب بالذات بقوله: الموجب بالذات هو الذي يجب أن يصدر عنه الفعل، إن كان علة تامة له، من غير قصد وإرادة، كوجوب صدور الإشراق عن الشمس والإحراق عن النار.

ويرى الفلاسفة أن العالم وجد عن الله تعالى على سبيل اللزوم لذاته من غير قصد واختيار، فيكون الله تعالى موجباً بالذات، لأنه يصدر عنه من غير قصد وإرادة، وإذا كان قد صدر عن قصد وإرادة منه لأحدث ذلك تكثراً في ذاته، وهو منزّه عن ذلك.

ورد أهل السنة على قول الفلاسفة بأن الله موجب بالذات قائلين: إذا كان المراد من هذا القول أن الله يوجب ما يحدثه بمشيئته وقدرته، فلا يتنافى هذا مع كونه فاعلاً بالقدرة والاختيار. وإذا كان المراد أن الله تعالى يوجب شيئاً من الأشياء بذات مجردة عن القدرة والاختيار فهذا باطل. وإذا كان المراد أن الله تعالى علة تامة أزلية تستلزم معلولها الأزلي، بحيث يكون من العالم ما هو قديم بقدمه، لازم لذاته أزلاً وأبداً فهذا باطل أيضاً.

وقالوا أيضاً: إذا كان المقصود بالموجب بالذات ما يستلزم معلوله، فتغيرات العالم تبطل كونه موجباً بهذا الاعتبار. وإذا كان المقصود أن تكون مفعولاته أمراً لا يلزمه، بل يحدث شيئاً بعد شيء، فكون الأفلاك من جملة الحوادث المتأخرة، تبطل هذا القول.

كما بينوا فساد قول الفلاسفة بقدم العالم عن الموجب بالذات قائلين: إما أن تكون ذاته هي الموجبة للعالم، فيلزم قدم كل شيء في العالم ودوامه بقدم الموجب ودوامه، وهو مكابرة للحس. وإما أنها متوقفة على أمر آخر، فإن هذا يبطل قولهم بقدم العالم. انظر: آمال بنت عبد العزيز العمرو: الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، جمع ودراسة، رسالة لنيل الدكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة، إشراف: د. محمد بن إبراهيم العجلان، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥-١٤٢٦ هـ، ص ٣٧٠-٣٧٢.

الأنبياء جميعهم يقولون هذا، لم أكن أقبله، وكنت أقول: إنني لا أريد هذا الإله، إنني أريد إلهاً فاعلاً مختاراً، وأطلب ذلك الإله. النار ولا العار. وأقول له: إن هذا الإله يدحض ما تقوله.

إنك تقول: أقول له: لو أنه ليس فاعلاً مختاراً، وأنت فاعل مختار، اجعله يضطرب!

إن أقل عباده -الذي سقط عليه أثر ظله- هو فاعل مختار، وليس عاجزاً، إنه يخرب ألف عالم في كل لحظة. والأكثر عجزاً منه يعمل عملاً، يعجز هو عنه. ولا يستطيع تغييره، ويقول: إنه عديم الإرادة، ويطلق عليه عديم الاختيار.

إن بداخلك فرعوناً عبوساً، إذا كان العالم بأسره يقبل شهاب، كما قبلته أنا.

أيام مباركة

ليجعل الله أيامكم مباركة. أنتم مباركون، تتعاقب الأيام حتى تتبارك بكم. وقد حشدت ليلة القدر مع غيرها، واندرجت فيها.

كلمات

العارف بالكلام شيء، والعارف المتكلم شيء آخر. قال ألف كلمة. فقال: والباقي؟ وكان قد جلس متعطلاً.

كان موسى عارفاً بالكلام، وهو كليم الله. ﴿لَنْ تَرَنِى﴾ (١٧٢).

(١٧٢) ﴿لَنْ تَرَنِى﴾. سورة الأعراف، جزء من الآية ١٤٣.

يخرج قطيعان من الخيل، وقد سبق، ومنعها. هلا، في وقت آخر.
الأيام بيننا. ﴿لَنفِدَ الْبَحْرُ﴾ (١٧٣).

لم يتم معنى الألف، وقد قفزت أَلِف خارج الحضرة، فلأي حكمة
خرجت؟ إنه يعلم سر الحكمة.

قال: إن العقل لا يخطئ، وكان العقل يخطئ، وهو يقول: لا يخطئ.
جاءت الباء، وتعقبت الألف، فقال لها: لماذا جئت؟ قالت: أشرح
لك، إنني أمرك أمرًا في نفسي، ألا وهو محبتك. وهو معنى أَلْفِي. إنني
أفشي سر التجريد.

جاءت التاء، وقالت: إنني أملك نقطتين على رأسي، لذلك فإنني
أطرح الدنيا والآخرة.

احتوت التاء نفسها أيضًا، وكانت الجيم أبعد مثلما تكون التوراة
أسبق، وكانت تعبر عن معنى القرآن. سبقت الألف الجيم بفصلين، لكن
الجيم استعدت لخدمة الألف، وسبقت الألف الدال أيضًا.

الإناء ينضح بما فيه

كانت الجماعة التي تكرهه تقول: إننا نعاديهِ. فما الضرر لو أنك
تذهب إلى الخرابات؟ إن الكافر يقول كفرًا. وماذا يقول الكافر سوى
الكفر؟ والمؤمن يتحدث بالإيمان، والكافر يتحدث بالكفر. الإناء ينضح
بما فيه، فيكون الصفاء صفاء، ويكون الكفر كفرًا.

(١٧٣) ﴿لَنفِدَ الْبَحْرُ﴾. سورة الكهف، جزء من الآية ١٠٩.

الكلب العقور

سألوه سؤالاً على هذا النحو: يوجد في الطريق كلب عقور، فهل يجوز قتل الكلب العقور؟ قال: بلى.

حدث في ذلك اليوم أن قُتل خمسة من الحراس، ولم تكن الفتنة تخمد قط، حتى إن كل شخص كان يفر إلى ناحية.

فتوسلوا إليه، فصعد المنبر، ومنع الفتنة. وكان ينزل من فوق المنبر بعد الوعظ، ويقف على آخر درجات المنبر، وينطق بالشهادة، ويقول: **إِنَّا نَتَحَدَّثُ أَكْثَرَ مِمَّا نَعْمَلُ**، وصرنا عرضة لهذا العتاب: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (١٧٤). فاعفُ عنا يا إلهي!

تحرك المنبر، فقال: أيها المنبر، إنني لا أتحدث إليك! إن غرضه من هذا، أنه يقول للخشب: تحرك، فيتحرك. يعني من صفات الخشب أنه يقبل النصيحة، ويتحرك.

كلام الحق

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي﴾ (١٧٥)، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ (١٧٦)، ليس بينهما تناقض. إنه كلام الحق، ومحال أن يكون متناقضاً!

إنك ترشد إلى الطريق قائلاً: ها هو الطريق المستقيم، لكنك لا

(١٧٤) ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾. سورة الصف، آية ٢.

(١٧٥) ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي﴾. سورة القصص، جزء من الآية ٥٦.

(١٧٦) ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾. سورة الشورى، جزء من الآية ٥٢.

تستطيع إجبار أحد على سلوكه. وأنا حاسم، وسوف أقطعه.

قالوا: ينبغي لنا أن نعرف درجة كل واحد. فنزلت الآية: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ﴾ (١٧٧).

قال الخليل: والله ورسوله، كل كذب كذبت، أحاله الله صدقاً.

قيل: يا رسول الله، المؤمن يزني؟ قال عليه السلام: يزني فهو مؤمن، فهو مؤمن، فهو مؤمن، على رغم أنف أبي الدرداء^(١٧٨). المؤمن لا يكذب^(١٧٩). ويجعله الله صادقاً.

(١٧٧) ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ﴾. سورة الحديد، جزء من الآية ١٨.

(١٧٨) أبو الدرداء: هو عويمر بن قيس بن زيد بن أمية بن الخزرج قاضي دمشق وسيد قرائها، وصاحب رسول الله ﷺ، ورويت عنه عدة أحاديث، وتوفي ٣٢هـ.

انظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ج٢، ص ٣٣٥، ٣٥٣.

(١٧٩) حديث غير صحيح، وقد ورد على هذا النحو: سئل: هل المؤمن يزني؟ قال: نعم. هل المؤمن يسرق؟ قال: نعم. هل المؤمن يكذب؟ قال: لا.

أحاديث منتشرة لا تصح، الدرر السنية. dorar.net.

ويتعارض مع الحديث الصحيح الآتي:

لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن.

وعن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ إلا النهبة.

الراوي: أبو هريرة. المحدث: البخاري. المصدر: صحيح البخاري.

خلاصة حكم المحدث: صحيح. الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

افرجها يا الله!

مزق الجبة، وقال: «وافرجي» أي افرجها عليّ يا الله. فسميت «فرجي» أي قباء.

العمر ساعة

كان قد كُتب على شاهد قبر: كان عمره ساعة. **الصوفي ابن الوقت**^(١٨٠). وساعة العمر هذه ملكنا، نلتحق فيها بخدمة مولانا، ونواظب على خدمته.

كنتُ دودة صغيرة، وبقيتُ فوق ذلك النطع، ولم أكن فصيحًا، قال في النهاية: ليجزي الله مولانا خيرًا، لأنه دَلَّ على الخير. من ثم تأمرني بالخدمة اللائقة، حتى أؤديها.

ينظر جبريل إلى أعلى، فتسقط عمامته. قال: أين أذهب؟ قال الحال: عند أمك وأبيك حتى ذلك الوقت الذي أstdعيك فيه. أومرني. قال: ينحرف بالسفرة حتى يضعها أمامه، فيلتفت، ويقول: الخلوة. يقول: ليست هناك حاجة إلى الخلوة. أومرني. قال: يقلب السفرة على الفراش!

(١٨٠) **الصوفي ابن الوقت**: الوقت هو ما يكون العبد فيه فارغًا من الماضي والمستقبل عندما يتصل وارد من الحق بقلبه، ويجعل سره مجتمعًا فيه، بحيث لا يذكر في كشفه الماضي ولا المستقبل. والوقت لا يتأتى تحت كسب العبد حتى يحصل بالتكلف، ولا يباع أيضًا في السوق، ليدفع الروح ثمنًا له، ولا إرادة له في جلبه ودفعه. ويقولون: الصوفي ابن وقته، يريدون بذلك أنه مشغول بما هو أولى به في الحال، قائم بما هو مطالب به في الحين.

د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص ١٨٧.

هي، ماذا تقول؟ ما شأن السفرة بالفراش؟ أوامرني، فنحن مشغولون،
وسوف أطيع الأمر، وأمثل له، ولا أعصاه أبداً. فيأمرني قائلاً: افعل شيئاً.

نزلت في حي القلب زمناً

وكنت أبحث عن أثر لحال القلب

كيف تكون أحوال قلبي

وقد رأيت عالماً شديد الجلبة بسببه

إذا لم يكن هناك هذا الكور، لما كان جبريل يجد غبار هذه الطائفة.

فتشت عن أقوال الحكماء

فوجدت خبراً في كل وادٍ ومدينة

إنهم استغاثوا جميعاً بسبب القلب

فارتبْتُ في هذا الحديث

سرعان ما ارتحلت عن عقلي إلى قلبي

فلم أجد فيه أي مكان خالياً

يصير هذا القلب مثل الترجمان

بين العارف والمعروف

يعلم أرباب القلوب ما القلب

وكل جماد يعرف قدر القلب

قال رسول الحق كذلك خبراً عن القلب فحواه: لا تعد شيئاً أفضل

من القلب ولا أسوأ منه.

تَعَلَّمْ

يستر وجه محمد، ويستهل قوله: هكذا هو محمد، فاتبعه.

وتتحدث حديثك البارحة، وتذكر الآخرين بسبب الحسد. استمع إلى السب فإن لي فيه معنى آخر. وإلا فلا شأن لك بي مرة أخرى. من ثم الكتابة هذه المرة من أجل أن تدرس، لأنك لا تستطيع القراءة، ولو تتعلم، تُفكر: أهذه هي الباء أو التاء أو الياء، أم أنك لا تتذوق القراءة؟

ضاع الكلام مني!

إن مجيء العارفين بالحق إليك ليس عيباً، إنه من أجل حكمة. والتكليف ليس صعباً ولا عاجلاً.

ذلك الوقت الذي يحل فيه النشاط، يزول الملل. لقد خطب خطباً حسنة، لكنه شعر بوجوده في تلك الأثناء. وكان يحسدني. ومع أنه كان يقبل كلامي ويصدقني، فقد ضاع الكلام مني، ثم عاد على هذا النحو.

عالم التوحيد

لا تحد عن عالم التوحيد أبداً، ما شأنك بأنه واحد؟ وما شأنك بعالم التوحيد ما دمت أكثر من مائة ألف جزء، وكل جزء منك في طرف، وكل جزء منك في عالم؟ وما دمت لا تقامر بأجزاءك هذه في واحدته^(١٨١)، ولا تنفقه، ينعم عليك بواحديته. ل يبقى سرك، ولتكون سجدتك مقبولة.

(١٨١) الواحدية: الواحدية عبارة عن مجلى ظهور الذات فيها صفة، والصفة فيها ذات. والواحدية تظهر فيها الأسماء والصفات مع مؤثراتها لكن بحكم الذات لا بحكم افتراقها. فكل منها فيه عين الآخر. السابق، ص ١٨١.

كما تعلم ما دام ضيف قد حل، تتحدث، حتى يفيد منك، ونحن الأولى بالترحيب.

الماء والنار

كانوا يدعون رجلاً إلى مجلس طرب، وكان يتكاسل. فقال له: تعال، وستسمع أكثر في النهاية.

يجب أن يكون الماء بالقرب من القدر. والعارف بأفعال النار، لا يبعد الماء عنها أبداً إلا ناسياً. ولما لم يكن الماء حاضراً، يلهب القدر. وقد ساح الدهن، ولم يبق الدسم، ولم يبق القدر، وفسد اللحم. ويلزم قدر آخر، لأنه ربما ينسى.

الخليفة وإبليس

كان آدم عليه السلام ينسى، ولم يكن يقول شيئاً سوى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ (١٨٢). ولم يشغل بكلام آخر. وقال إبليس: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ (١٨٣). فماذا يعلم عن الخليفة؟

يطلب العذر من المنصفين، وعذره أقبح من الذنب؛ إنه ينفي وجود الباري تعالى، ألا تعلم أنني أعرف أفضل منك؟ ﴿فِعِرْزَكَ لَاغْوِيَهُمْ

(١٨٢) ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾. سورة الأعراف، جزء من الآية ٢٣.

(١٨٣) ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾. سورة الأعراف، جزء من الآية ١٢.

أَجْمَعِينَ ﴿١٨٤﴾، تشمل الأنبياء والأولياء والأبدال^(١٨٥). إنه لا يتخلى عن فعله، ومتى تخلى عن فعله؟

الليحية المحترقة

طرح العناية جانبًا، وانتحى جانبًا. ماذا يفعل؟ إنك تمنعه عني، فكيف تمنعني عنه؟

يشتغل خياط بالحدادة، فتحترق لحيته. وينبغي عليه أن يؤدي عمله. ولعله يأتي إلى الحداد قائلاً: أيها الحداد، فلتأت، ولتعلمني الحدادة. ولما يعلمه الحدادة، لا تحترق لحيته حينئذ، كما أنه لا يحرق لحيته. تنفق مائة درهم على «اللوت»^(١٨٦)، ولا تضع عليه ملحًا، لا يكون هذا أبدًا. لا يستسيغه الفم، فتضع عليه الملح.

كل عمل تؤديه هو ملح. ولو أنهم يقولون ملحًا، وهم لا يدركون معناه وحاله. وما دام لا يحدث ذلك، لا تحصل أي رياضة، بل إنه يضل.

(١٨٤) ﴿فَعِزَّكَ لَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. سورة ص، جزء من الآية ٨٢.

(١٨٥) الأبدال: يُطلق لفظ الأبدال في اصطلاح الصوفية على جماعة بدلوا صفاتهم الذميمة بالصفات الحميدة. كما يطلق على سبعة رجال، لأنهم إذا ذهب واحد حل محله الذي يليه في الرتبة، وينال رتبته. وقيل إنهم سمو بالأبدال، لأن الحق تعالى أعطاهم قوة بحيث ينتقلون حيث يشاءون، وإذا أرادوا أمكنهم وضع صورتهم في موضع، فإنهم يضعون شخصًا على مثالهم بدلًا عنهم.

انظر: محمد علي التهانوي: كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج١، ص ٨٧.

(١٨٦) اللوت: طعام دسم ولذيذ.

انظر: شمس الدين محمد بن ملك داد تبريزي: مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتحشية ومقدمة احمد خوشنويس عماد، ص ١٩٣.

أيها الأحمق

أيها الجماد، إنك لا تستطيع أن تخبر عن ظاهري، فكيف تخبر عن باطني؟ أيها الأحمق، أيها الأحمق، لا، لا. كل اعتقاد حَفَزَكَ، احفظه، وكل اعتقاد ثبط عزيمتك اجتنبه.

النجاح والفشل

الرجل هو من يسر بالابتلاء، ويسعد بالحزن، لأنه يعلم أن النجاح يكمن في الفشل، وأن الأمل في التوفيق ينبعث من الإخفاق، وأن في الرجاء غصة اليأس.

ذلك اليوم الذي كانت الحمى تصيبني فيه، كنت أسعد، لأن الصحة ستأتي غدًا. وذلك اليوم الذي كنت أتمتع فيه بالصحة، كنت أشعر بالغصة، لأن الحمى ستصيبني غدًا.

إنك تقول: إذا لم أكن قد أكلت البارحة، لما كان هذا الألم يصيبني اليوم. إنك تنشغل بنفسك.

الرجل هو من ينشغل بأمر الجميع، هذا هو كماله. وحينئذ يصير عظيمًا.

أهل تبريز

لقد قال بسبب حماقته: إنه وصف أهل تبريز بالجهلة. فماذا رأى هو؟ وكيف يقول هذا الكلام على شيء لم يره، ولا يعلمه؟ ولقد كان هناك أناس -أنا أقلهم- أطاحوا بي خارج البحر، فانزويت كما ينزوي

القش في زاوية من البحر. فكيف كانت أحوالهم؟

كان هريوه من خراسان، ويطلقون عليه شهابًا. كان هريوه -الذي لم يكن يهتم بأي شخص- يقول: هذا الرجل كفؤ. إنني أرتاح للجلوس معه، وأطمئن إليه.

إنه مواطني

من يكون سيف الزنجاني حتى يسيء إلى فخر الرازي؟ فليذهب خائبًا مهزومًا. يوجد مائة شخص مثله، وينعدمون. إنني أغتوط على قبره وفي فمه. إنه مواطني، أي مواطني هذا! تبًا له.

شيطان العالم

استمع إلى الكلام: كل ج ب، وكل ب ج^(١٨٧). وبناء على هذا يلزم أن يكون بسم الله، جيم الله. ما أعجبه من محال!

(١٨٧) كل ج ب، وكل ب ج: أي كل جيم باء، وكل باء جيم. وهي إشارة إلى المطلقات في علم المنطق. «أما المطلقة العامة فالموجبة الكلية منها، يناقضها السالبة الجزئية الدائمة، فلو قلت: كل ج ب بالإطلاق العام، كان نقيضها ليس بعض ج ب دائمًا. والسالبة الكلية يناقضها الموجبة الجزئية الدائمة، والموجبة الجزئية يناقضها السالبة الكلية الدائمة... وأما الوجودية فالموجبة الكلية منها تناقض الجزئية السالبة للوجود، فإذا قيل كل ج ب بالوجود، أي الإطلاق غير الضروري، كان نقيضها رفع ذلك الوجود جزئيًا، أي قولك ليس بالوجود كل ج ب، وقد يعتبر النقيض لازم ذلك الرفع، وهو قولك بعض ب إما ج بالضروري، وإما ليس ج دائمًا».

الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن سينا: النجاة في الحكمة الإلهية، المكتبة المرتضوية، مطبعة السعادة، الطبعة الثانية ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م، ص ٢٨.

تلك الميم^(١٨٨) إنكار، وحجاب للحال. حين لا تبقى تلك الميم،
يتحقق الحال، ولا يبقى المحال.

عد تلك الميم شيطان العالم، ما دامت قد ظهرت. ما أسخفه من
كلام! وما أعثه من حديث!

الكل هو

تعلم من تلك العجوز الطاعنة في السن^(١٨٩). إنها تقول: يا من أنت
الجميع^(١٩٠). من ثم فهو يتجلى في العجوز والشاب والرجل على حد
سواء. أيعقل هذا! إن جبريل لا يدرك غبارهم، فأني مجال لميكائيل؟

(١٨٨) المقصود بالميم: المنطق. والمنطق آلة قانونية تعصم الذهن عن الخطأ في التفكير.
وقال قطب الدين الشيرازي في درة التاج: المنطق آلة قانونية نعرف بها الفكر الصحيح من
الفساد. وواضع علم المنطق أرسطو، وترجم علم المنطق من اليونانية إلى العربية في عهد
الخليفة العباسي المنصور. انظر: شمس الدين محمد بن ملك داد تبريزي: مقالات شمس
تبريزي، بتصحیح احمد خوشنويس عماد، ص ١٩٥.

(١٨٩) إشارة إلى الحديث: عليكم بدين المعاجز.
المحدث: ابن القيسراني. المصدر: معرفة التذكرة.
خلاصة حكم المحدث: ليس له أصل. توضيح حكم المحدث: لا يصح.
الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

(١٩٠) أنت الجميع: تعد فكرة الكل هو أو الجميع الواحد من الأفكار المتعلقة بالتوحيد التي
راجت في القرنين الرابع والخامس الهجريين. ويرد عن الحلاج م ٣٠٩ هـ أنه قال: أنا
الحق. فقال له الناس: قل هو الحق. قال: بلى، فالكل هو. وقال أبو الحسن الخرقاني
م ٤٢٥ هـ: إلهي لا تدعني في مقام أقول فيه: أنا وأنت. وأبلغني مقاماً أفنى فيه، وتكون أنت
الجميع. وقال أبو سعيد بن أبي الخير م ٤٤٠ هـ: لما يفتح الله باب التوحيد للعبد، يعرف
أن الله هو كل شيء، وأن كل شيء هو الله.
انظر: د. منال اليمني عبد العزيز: التوحيد عند أحمد الجامي ومحيي الدين بن عربي،
ص ١١، ١٢.

لا مجال للعقل

لا يهتدي عقله إلى الطريق، فأَي مجال لعقل آخر؟ لقد استخدموك في هذا العمل، فلا مجال للكلام هنا. فالمجال ضيق، ينمحي في السعة. قال: ضيق؟ أي مجال لضيق؟ لقد قطع حلق الزمان، فأَي زمان عندئذ؟ إذا كان يعلم، كان يشق الابن نصفين، ويمزق كبده على هذا النحو، ويلقيه خارجًا.

قالوا لصوفي: ارفع رأسك، ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ (١٩١). قال: إنها آثار، والرياض داخل القلب. **طعام الواحد يكفي الاثنين** (١٩٢). من ذلك الواحد؟ لو أنه محمد ﷺ وآله، فإن طعامه يكفي الكونين.

المشتبه

ذلك الشيء الذي يهدف إلى الخير وحسن الاعتقاد، هو كل ما يفعل. وكل ما يفعله يكون خيرًا. لكن ذلك الشيء مشتبه (١٩٣)، يوقع

(١٩١) ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾. سورة الروم، جزء من الآية ٥٠. (١٩٢) **طعام الواحد يكفي الاثنين**: إشارة إلى الحديث: طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة. الراوي: جابر بن عبد الله. المحدث: مسلم. المصدر: صحيح مسلم. خلاصة حكم المحدث: صحيح. الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net. (١٩٣) **المشتبه**: المشتبه هو: كل ما ليس بواضح الجِل والحُرمة مما تعارضته الأدلة، وتنازعت النصوص، وتجادبته المعاني والأوصاف، فبعضها يعضده دليل الحرام، وبعضه يعضده دليل الحلال. وقيل: المشتبه ما اختلف في حِلِّه كالخيل والنبذ. وقيل: ما اختلف فيه الحلال والحرام. والتفصيل أن الأشياء ثلاثة: الأول: الحلال المطلق، وهو ما انتفى عن ذاته الصفات المحرمة، وهو ما نص الله تعالى ورسوله أو أجمع المسلمون على حِلِّه. والثاني: الحرام

الشخص في الشك والريبة.

قال عليه السلام: **بيعوني على الناس** ^(١٩٤). لم يكن يجيز ذلك في البداية، وحدث أنه لم يتدخل في بيع أحد.
أين الصوفي حتى يتناول الرُّطب مطمئنًا؟

السّمك يأكل السّمك

يأكل السّمك، السّمك. الإنسان هو الذي ينخس مائة إنسان مثله بمنخس العدم. أقول كلامًا عاليًا، فلا يتحرك أبدًا! أتحدث بكلام ضعيف، فيصيح فاقداً الصواب! أقول: يا للعجب، إنه قلما كان يقيم الصلاة، فبقي في الجحيم. يلزم قوم كافرون، حتى يتجلى عليهم دائماً بصفة القهر.

المجمر الملتهب

كان الشيخ أحمد قد وضع قدمًا في حجر ذلك الغلام، وقدّمًا في حجر الطفل الشاهد ^(١٩٥).

وهو ما في ذاته صفة محرمة، وهو ما نص الله ورسوله أو أجمع المسلمون على حرمة. والثالث: المشتبه وهو الذي يتجاذبه سببان متعارضان يؤديان إلى وقع التردد في حله وحرمة. محمد علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، جـ ٢، ص ١٥٤٦.
(١٩٤) **بيعوني على الناس**: إشارة إلى الحديث: لا يبيع بعضكم على بيع بعض.
الراوي: عبد الله بن عمر. المحدث: مسلم. المصدر: صحيح مسلم.
خلاصة حكم المحدث: صحيح. الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.
(١٩٥) **الشاهد**: الشاهد ما يشهدك بما غاب عنك، يعني يُحَضِّرُ قلبك لوجوده، قال القائل:
وفي كل شيء له شاهد يدل على أنه واحد
والشاهد هو التجلي باعتبار ظهوره وحضوره، لأن الحق يظهر بصورة الأشياء، وهو المقصود بقوله: هو الظاهر. د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص ١٠٢.

لما نظر السلطان من أعلى، وشاهده، عاد منكراً عليه ذلك، وقال:
أيها التركي الصغير، أمعن النظر، ثم اذهب، فحمل التركي قدم الشيخ
من حجره، ووضعها في مجمر ملتهب.

شعر

تنظر عيني إلى كل من يدخل
وأقفز من المكان لعله يأتي

روح محمد

قال: إن العجوز تكذب، فقد أحصيتُ أرواح الأنبياء كلها، ونظرتُ
إلى السابقين واحداً واحداً، ولم تكن روح محمد ﷺ بينهم، إنه لم يمت.
وهي تتحدث على هذا النحو.

الكرامات

الكرامات هي أن يقول لقطعة الخشب تحركي، فتتحرك.
تحرك المنبر في الحال، وكانوا قد غرسوه في الأرض، فقال: إنني لا
أوجه حديثي إليك أيها المنبر، فاثبت أيها المنبر.
قال عمود حنانه: أيها المصطفى، لماذا تنصرف عني؟ قال: لأنك
انصرفت عن أخي. قال: ولو أنني ألتفت إليه، تلتفت إليّ. قال: بلى.

الشاهد

وضع حفنة من الزبيب في طرفه، وهو لا يزال مع محمد. وعزم مرة
أخرى على أن يعود من أمام الباب منكراً عليه فعله.

صاح الشيخ من الداخل قائلاً: تعال، واخجل. دخل، فقدم له الطبق،
كان مكان حفنة الزبيب خاليًا، فأذعن.

لقد استقام أمر الشيخ محمد هذا على يد الأستاذ.
أرسل ثلاث مرات في طلب ذلك الغلام الشاهد، فلم يأت، لأنه كان
يرفض ذلك في الباطن، وكان يرسل إليه في الظاهر، ويدعوه.

الصالحون

الصالح هو من لا يتقيد بوجوده أبدًا، ولا ينضج برأسه ولحيته.
﴿وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(١٩٦). ماذا يريد بالصالحين؟ أيريد شمس
الدين اللهاوري وشرف الدين اللهاوري، ونجيًّا المعلم، وفخر الدين
المليح؟

رسالة^(١٩٧)

يعلم مولانا أن هذا الضعيف مشغول بالدعاء بالخير، ولا يختلط
بأي مخلوق. وقد ظهرت أحوال كل شخص في الخدمة. وربما أبدى
الأصحاب استعدادهم للخدمة.

لكن هناك درويشًا عزيزًا تقيًّا، لو يعلم مولانا حقيقة حاله. ونحن
نعلم أنه لم يهتم به. وهو الذي لم يترك مجالًا من أجل تعظيم شأنه.

(١٩٦) ﴿وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾. سورة الشعراء، جزء من الآية ٨٣.
(١٩٧) رسالة: هذه الرسالة أرسلها شمس الدين التبريزي من دمشق إلى جلال الدين الرومي.
انظر: شمس الدين محمد بن ملك داد تبريزي: مقالات شمس تبريزي، بتصحيح احمد
خوشنويس عماد، ص ١٩٩.

وقد كان للداعي معرفة به ومودة هنا منذ عشر سنوات، ولما ذهبنا إلى دمشق، تجددت المحبة هناك أيضًا.

من ثم كان قد جاء إلى هنا في هذه السنة من قبل القاضي شهاب الدين بن جلال الدين بسبب اضطراب «عراقيله». وعكف على العزلة، وكان يقنع بعالمه. ولما عزم على السفر إلى دمشق، صحبته بحكم المعرفة القديمة والمحبة يومًا أو يومين لتوديعه، فبدت أشياء أخرى، وحظيت الروح بالراحة والطمأنينة والأنس في صحبته.

وقد أنس هذا الضعيف بصحبته إلى حد أنه لو يعزم على السفر، يعزم هذا الضعيف على السفر معه، ويترك الأطفال مضطربًا. فإنني لا يمكنني العيش من دونه. وكنا قد أبقيناه بمائة تضرع وحيلة ووعد، واتفقنا على الإحسان إليه، وتزويجه، حتى يبقى معنا.

وقد بدا أول أمس غاضبًا وقال: مررت بباب مدرسة المحكمة، وشعرت بالاستياء من القضية التي وقعت في توقات^(١٩٨). ولقد سمع مولانا قول جماعة في حقه، وكانوا في الحقيقة كاذبين وحاسدين. ولم يكن المتوقع منه أكثر مما هو واجب لمواساة الفقراء والإحسان إليهم. وأن يطيب خاطره، وينفض عنه ذلك الغبار. فتكون منة عظيمة، لأن مثل هذا الدرويش يكون غريبًا للغاية وسط الدراويش والأعزاء، فتحدث المشكلة.

(١٩٨) توقات: توقات أو توقاد: يُقال إنه اسم مدينة بالقرب من قونية.

انظر: السابق، الصفحة نفسها.

إن هذا الداعي ليس مقلدًا، وربما سمع المريدون كلام هذا الضعيف. ولقد أدركتُ كثيرًا من الدراويش الأعزاء، والتحقت بخدمتهم، والفرق بين الصادق والكاذب معلوم سواء من حيث القول أو من حيث الحركات. ولا يحل قلب هذا الضعيف في أي مكان، ما لا يكون محمودًا فيه ومختارًا، ولا يلتقط هذا الطائر أي حبة.

ينظر السيمرغ^(١٩٩) إلى الطيور كلها، فيرى دناءة همتهم وخستهم. لكنه يدرك همة الباز وتواضعه وجوهره، فيسط ظل لطفه عليه وينظر إليه.

تطير تلك الطيور الأخرى لحظة، ثم تقع. ومع أن الباز لا يطيق مشاهدة السيمرغ، لكنه يجد في نفسه لطائف بتأثير نظرة السيمرغ.

اصطاد صياد أسدًا، فتنبح الكلاب. يجب أن تنبح الكلاب، حتى لا يفر الأسد، ويذهب إلى الغابة. من ثم إنهم يقتربون من الأسد، فأبي صداع يصيبكم إذا ابتعدتم؟

(١٩٩) السيمرغ: السيمرغ اسم طائر أسطوري خرافي. عشه في جبل قاف الأسطوري، وهو عالم وعادل وله معرفة بالأسرار الخفية. ويتجلى السيمرغ في الثقافة الإيرانية وفي الأدب الفارسي بصور مختلفة، فهو يربي زال ويحميه تحت جناحه، ويعاون رستم في صراعه مع اسفنديار. وقد ذكره العطار في منظومته منطق الطير. والسيمرغ أو العنقاء عند الصوفية كناية عن الهيولى. والعنقاء هو الهباء الذي فتح الله فيه أجساد العالم، مع أنه لا عين له في الوجود إلا بالصورة التي فتحت، وإنما سُمِّي بالعنقاء لأنه يُسمع بذكره، ويعقل، ولا وجود له في عينه.

انظر: د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية ص ١٣٠.

و Fa.wikipedia.org

تمت الرسالة

ذهب ولم يعد!

قالت رابعة^(٢٠٠): أرسلت القلب إلى الدنيا قائلة: انظر إلى الدنيا. ثم أرسلته إلى العقبى، وقلت: انظر إلى العقبى. ثم أرسلته إلى عالم المعنى، وقلت: انظر إلى عالم المعنى. فلم يعد لي مرة أخرى. وأنا لا أعلم.

كنت أريد التعبير عن ذلك الكلام، والبوح بالأسرار خلاله، لكنك غضبت، واعتراك حال. ولقد اعترضتُ أنا على كلام المشايخ، ولم أعترض على كلام المصطفى صلوات الله عليه.

الدائرة

هذه هي الدائرة، وهذا هو رسمها وحدُّها. إنك تطوف حول هذه الدائرة من الخارج، ولما وصلتَ إلى المخرج، عدتَ للطواف حول الدائرة.

إنك تحيد عن الطريق. وقد عدتَ، وحدتَ عن الطريق أكثر. وكلما تركتَ مخرجًا، تهيم في الصحراوات كلها، وتسلك طريق العدم.

(٢٠٠) رابعة: هي مولاة آل عتيك الذين ينتمي إليهم آل عدوة، ولهذا تُسمَّى رابعة العدوية، وتُكنى بأُم الخير. ولدت رابعة في أسرة فقيرة، وتوفي أبوها وهي في ريعان شبابها. ولما حل قحط بالبصرة، تفرقت هي وأخواتها الثلاث، فرآها ظالم، وباعها بستة دراهم. ثم انصرفت إلى الحياة الروحية والزهد بعد أن عانت من الرق والذل والمهانة، وبدأت تستشعر الحب لله، ونذرت نفسها له.

انظر: عبد الرحمن بدوي: شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، الكويت، الطبعة الرابعة ١٩٧٨م، ص ١٠-١٦.

أقول لهؤلاء جميعاً: ضعوا اللقم في أفواهكم. فيلفون أيديهم خلف آذانهم ورقابهم، حتى يضعوها في أفواههم، وربما تمزقت عروقهم. أو أقول شيئاً، فيصمتون.

تقول أنت: أم الخليل، أي ذات الولي، فيرفع رأسه، لأنك تحسن الظن بأم الخليل.

إن الله يدبر الأمر لك، وهناك شخص قادر على أن يجعل سبعمئة ألف يتقاطرون عليك من دون سابقة خدمة. هذه هي السنة القديمة. والقول هو قول الحق، والسنة هي سنته القديمة.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

- ١ - أبو علي الحسين بن سينا: النجاة في الحكمة الإلهية، المكتبة المرتضوية، مطبعة السعادة، الطبعة الثانية ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م.
- ٢ - أبو الفداء إسماعيل بن كثير: قصص الأنبياء، تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، مكة المكرمة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، الجزء الأول.
- ٣ - أبو نصر السراج الطوسي: اللمع، حققه وقدم له وخرج أحاديثه د. عبد الحلیم محمود، طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المشنى ببغداد ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٠ م.
- ٤ - أبو هلال العسكري: كتاب جمهرة الأمثال، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٥ - إسعاد عبد الهادي قنديل: فنون الشعر الفارسي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م.

- ٦ - شمس الدين التبريزي: هكذا تكلم تبريزي، أحاديث الشيخ والمريد
١، نقلتها عن الفارسية وعلقت عليها وقدمت لها د. منال اليمني عبد
العزیز، آفاق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٢١ م.
- ٧ - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء،
حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة
الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ج ٢، ج ٨.
- ٨ - عبد الرحمن بدوي: شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، الطبعة
الرابعة، الكويت ١٩٧٨ م.
- ٩ - عبد القادر الجيلاني: الغوث الأعظم، الديوان الفارسي، ترجمة
عن الفارسية ودراسة وتعليق د. منال اليمني عبد العزیز، آفاق للنشر
والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٦ م.
- ١٠ - عبد الكريم بن هوازن القشيري: الرسالة القشيرية في علم التصوف
وعليها هوامش من شرح زكريا الأنصاري، مكتبة ومطبعة محمد
علي صبيح وأولاده.
- ١١ - عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن قيم الجوزية): مدارج
السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق وتعليق محمد
المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة
السابعة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، الجزء الأول.
- ١٢ - العراقي وابن السبكي والزبيدي: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين،
استخراج أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد، دار العاصمة للنشر

- بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، الجزء الثاني.
- ١٣ - الغزالي: إحياء علوم الدين، إعداد ودراسة إصلاح عبد السلام الرفاعي، إشراف ومراجعة د. عبد الصبور شاهين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ١٤ - الغزالي: تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر.
- ١٥ - فريد الدين العطار النيسابوري: تذكرة الأولياء، ترجمة وتقديم وتعليق د. منال اليميني عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى ٢٠٠٦ م، المجلد الأول.
- ١٦ - فريد الدين العطار النيسابوري: تذكرة الأولياء، ترجمة وتقديم وتعليق د. منال اليميني عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الثاني، ٢٠٠٩ م.
- ١٧ - محمد جلال الدين شرف: الحلاج الثائر الروحي في الإسلام، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ١٩٧٠ م.
- ١٨ - محمد على السوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق وتعليق أبي حفص سامي بن العربي الأثري، قدم له عبد الله بن عبد الرحمن السعد، سعد بن ناصر الشثري، دار الفضلية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١٩ - محمد بن محمد الغزالي (أبو حامد): إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢٠ - د. محمد مصطفى حلمي: الحياة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٨٤ هـ.

٢١ - محمد بن المنور: أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد، ترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل، مراجعة د. يحيى الخشاب، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٢٢ - د. منال اليمني عبد العزيز، سيرة البلبل «بلبل نامه» لفريد الدين العطار النيسابوي، القاهرة ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

ثانياً: المراجع الفارسية:

٢٣ - شمس الدين احمد افلاكي: مناقب العارفين، باتصحيحات وحواشي وتعليقات بكوشش تحسين يازجي، دنيای كتاب، چاپ دوم، تهران ١٣٦٢، جلد دوم. مجلد الثاني.

٢٤ - شمس الدين محمد تبريزي: مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، شركت سهامی خوارزمي، چاپ چهارم، تهران، دی ماه ١٣٩١ هـ.ش.

٢٥ - شمس الدين محمد بن ملك داد تبريزي: مقالات شمس تبريزي، بتصحيح وتحشيه ومقدمه احمد خوشنويس عماد، مؤسسه مطبوعاتی عطائی، تهران ١٣٤٩.

٢٦ - نور الدين عبد الرحمن جامي: نفحات الانس من حضرات القدس.

ثالثاً: المقالة العربية:

٢٧ - د. منال اليمني عبد العزيز: التوحيد عند أحمد الجامي ومحيي الدين بن عربي، حوليات آداب عين شمس، دورية علمية محكمة، المجلد ٤٦، العدد الأول، يناير - مارس ٢٠١٨ م.

رابعاً: المقالتان الفارسيّتان:

٢٨ - خسرو کرمانشاهی: کیمیا خاتون وشمس تبریزی، سهم کیمیا خاتون از زندگی باشمس.

٢٩ - سید علی کرامتی مقدم: قصه محمود واوصاف اياز، فصل نامه تخصصی ادبیات فارسی دانشگاه آزاد اسلامی مشهد. sid.ir

خامساً: المعاجم العربية والموسوعات:

٣٠ - أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، مراجعة د. جورج متري عبد المسيح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٣ م.

٣١ - محمد علي التهانوي: موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة د. رفيق العجم، تحقيق د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية د. جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م، الجزء الأول أ - ش، الجزء الثاني ص - ي.

٣٢ - الجمهرة، معلمة مفردات المحتوى الإسلامي، معجم المصطلحات الشرعية، برعاية مؤسسة عبد الله بن عبد العزيز الراجحي الخيرية.

٣٣ - موسوعة الأخلاق، الدرر السنية.

٣٤ - الموسوعة الحديثية، الدرر السنية.

٣٥ - موسوعة الفرق، الدرر السنية.

٣٦ - موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، الدرر السنية.

سادساً: المعجم الفارسي:

٣٧ - د. محمد معين: فرهنگ فارسی، تهران ١٣٧٥ هـ.ش، جلد ششم، اعلام غ - ی.

سابعاً: الرسالة العلمية:

٣٨ - آمال بنت عبد العزيز العمرو: الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، جمع ودراسة، رسالة لنيل الدكتوراه، إشراف د. محمد بن إبراهيم العجلان، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

ثامناً : شبكة المعلومات العالمية :

ar .wikipedia .org

al –ershad.net

almaany.com

al .diwan.net

al – maktaba.org

dorar.net

fa.wikipedia.org

islamicbook.ws

islamweb.net

islamqa.info

kermanshahi.blogfa.com

sid.ir

